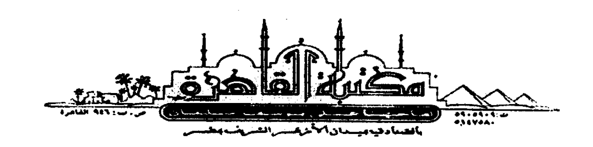
الكلمات الطيبات

فـــــى

المأثور عن الإسراء والمعراج من الروايات
وفيما وقع ليلتئذٍ من الآيات الباهرات

تأليف
حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ / محمد بخيت المطيعى
مفتى الديار المصرية سابقاً

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م
يطلب من





رقم الإيداع بدار الكتب

الترقيم الدولى .I.S.B.N

لصاحبها: على يوسف سليمان وأولاده
١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت : ٥٩٠٥٩٠٩
١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠
ص . ب ٩٤٦ العتبة - الأزهر - القاهرة
جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختار نبيه محمد واصطفاه وأرسله لكافة الناس بشيرا ونذيرا، وأسر به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السموات العلى فكان فيها كما هو في الأرض سراجا منيرا، والصلاة والسلام على هذا النبي المعظم والسند القوي الأعظم، وعلى آله وصحبه وسائر أتباعه وحزبه.

(أما بعد) :-

فإني قد اعتدت أن أقرأ كل عام قصة الإسراء والمعراج للنبي السراج الوهاج، فأردت أن أكتب ما رواه الحفاظ في صحاحهم مقتصرا على ذلك وعلى ما جاء في كتاب الله تعالى شارحا ما جاء في كتاب الله وفي تلك الروايات معرضا عما عداها مما رواه غيرهم.

فقلت وبالله التوفيق: إن الكلام في مقامين:

الأول: في الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

الثاني: العروج به ﷺ من المسجد الأقصى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وناجاه ربه العليم العلام.

أما الأول: فقد جاء فيه قوله تعالى ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾(الإسراء: ١) فقوله تعالى (**سُبْحَانَ**) معناه على ما ذهب إليه بعض المحققين مصدر

سبح يسبح تسبيحا بمعنى نزه تنزيها لا بمعنى قال سبحان الله وإن جاء التسبيح بمعنى ذلك القول. (والإسراء) السير بالليل خاصة (والهمزة) للتعدية والمفعول محذوف على معنى (أسرى ملائكته بعبده) وإنما احتيج إلى هذا لأنه إذا كان أسرى بمعنى سرى لزم من كون (الباء) للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول. وهذا شيء ذهب إليه (المبرد)، فإذا قلت قمت بزيد يلزم منه قيامك وقيام زيد عنده، وإذا جعلت (الباء كالهمزة) لا يلزم ذلك كما لا يخفى كذا في البحر. ولا يخفى أنه لا مانع من جعله بمعنى سرى (والباء) للتعدية، وحديث مشاركة الفاعل للمفعول هنا لا يضر لأن المشاركة معنوية بمعنى المصاحبة المعنوية أي أنه تعالى صاحبه معه في الإسراء ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ** ﴾(الحديد: ٤) غاية الأمر أن المشاركة هنا بمعنى يليق به تعالى. ومصاحبة الله تعالى إما بإعانته بدون واسطة أو بواسطة ملائكته فالمعنيان متحدان سواء جعلنا (الباء) للتعدية وأسرى بمعنى سرى، أو جعلنا (الهمزة) للتعدية والمفعول محذوف. وإيثار لفظه العبد للإيذان بتمحضه ﷺ في عبادته سبحانه وبلوغه ذلك في أقصى الغايات ونهاية النهايات حسبما يلوح به مبدأ الإسراء ومنتهاه. والعبودية على ما نص عليه العارفون أشرف الأوصاف وأعلى المراتب وبها يفتخر المحبوب.

وعن أبي القاسم سليمان الأنصاري أنه قال: لما وصل النبي ﷺ إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة أوحى الله إليه يا محمد بم نشرفك؟ قال: بنسبتي إليك بالعبودية. فأنزل الله تعالى

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ وجاء: قولوا عبد الله ورسوله. وقوله تعالى ﴿ لَيْلاً ﴾ ظرف لا سرى وفائدة ذكره مع أن الإسراء لا يكون إلا ليلا الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء وإنها بعض من أجزاء الليل.

وتحقيق ذلك على ما صرح به (الفاضل اليمني) نقلا عن (سيبويه وابن مالك) أن الليل والنهار إذا عرفا كانا معيارا للتعميم وظرفا محدودا، فلا تقول صحبته الليلة وأنت تريد ساعة منها إلا أن تقصد المبالغة، كما تقول أتاني أهل الدنيا لناس منهم، بخلاف المنكر فإنه لا يفيد ذلك فلما جيء بالمنكر وعدل عن تعريفه هنا علم أنه لم يقصد استغراق السرى له، وهذا هو المراد من البعضية. وقوله تعالى ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ المراد منه البيت الحرام أي الكعبة إذ لم يكن غيره حينذاك كما يعلم من التاريخ الصحيح. وقوله تعالى ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ هو بيت المقدس وصفه بالأقصى أي الأبعد بالنسبة إلى من بالحجاز فهو أبعد المساجد التي تزار من المسجد الحرام .

وأخرج الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال: قال رسول الله ﷺ {بينما أنا في الحجر - وفي رواية الحطيم - بين النائم واليقظان إذ أتاني آت فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه} الحديث.

وفي بعض الروايات (أنه جاءه جبريل وميكائيل عليهم

السلام وهو مضطجع بالحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر فاحتملته الملائكة عليهم السلام وجاءوا به إلى زمزم فألقوه على ظهره وشق جبريل صدره من ثغرة صدره إلى أسفل بطنه بغير آلة ولا سيلان دم ولا وجود ألم، ثم قال ميكائيل: ائتني بطست من ماء زمزم فأتاه به فاستخرج قلبه الشريف وغسله ثلاث مرات ثم أعاده إلى مكانه وملأه إيمانا وحكمة وختم عليه ثم خرج به إلى باب المسجد، فإذا بالبراق مسرجا ملجما فركبه) . الخبر.

وروى: أنه إذا ذاك في دار فاختة أم هانيء فقد أخرج النسائي عن ابن عباس وأبو يعلي في مسنده والطبراني في كبيره من حديثهما (أنه ﷺ كان نائما في بيتها بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها، وقال: مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد وأخبر به قريشا فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا. وارتد الناس ممن آمن به ﷺ وسعى رجال إلى أبي بكر فقال: " إن كان قال ذلك لقد صدق"، فقالوا: تصدقه على ذلك، قال: إني أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة) . فسمى الصديق وكان في القوم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه إياه فجلا له فطفق ينظر إليه وينعته لهم، فقالوا: أما النعت فقد أصاب فيه. فقالوا أخبرنا عن عيرنا في أهم إلينا هل لقيت منها شيئا، قال نعم: مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحاهم قدح من ماء فعطشت فأخذت وشربته ووضعته كما كان فاسألوا هل وجدوا الماء في القدح

حـين رجعـوا قـالوا هـذه آيـة. قـال: ومـررت بعير بني فلآن وفلآن وفـلآن راكبان قعدان فنفر بعيرهما مني فانكسر فاسألوهما عن ذلك، قالوا هذه آية أخرى. ثم سألوه عن العدة والأحمال والهيئات فمثلت لَه العير فأخبرهم عن كل ذلك، وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس وفيهما فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان، قالوا وهـذه آيـة أخـرى. فخـرجوا يشـتدون ذلك اليوم نحو الثنية فجعلوا يـنظرون مـتى تطلـع الشـمس ليكذبوه، إذ قال قائل هذه الشمس قد طلعـت، وقـال آخـر وهـذه العـير قـد أقبلت يقدمها بعير أورق فيها فـلان وفـلان كما قـال فـلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين. ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(التوبة: ٣٠) .

وقـد طعـن القاضـي عـبد الجبار فيما ذكر من الشق ونحوه بما حاصله أنه يلزم على وقوعه في الصغر وقبل النبوة تقدم المعجزة على النـبوة وهو لا يجوز، ووقوعه بعد النبوة وإن لم يلزم عليه ما ذكر إلا أن مـا ذكـر معه من حديث الغسل وإدخال الرأفة والرحمة والحكمة يـرد علـيه أن الغسـل ممـا لا أثـر لَـه في التكميل الروحاني وإنما هو لإزالـة أمـر جسـماني وأنـه لا يصـح إدخال ما ذكر وحشوه فإنما هو شيء يخلقه الله تعالى في القلب، وليس بشيء فإن تقدم الخارق على النـبوة جائـز عـندنا ونسـميه ارهاصـاً، والأخـبار كثيرة في وقوعه لَه علـيه الصـلاة والسـلام قـبل النـبوة، والغسـل بالمـاء كـان لإزالة أمر جسماني ولا يبعد أن تكون إزالته وغسل المحل بماء مخصوص كماء زمـزم ـ عـلى مـا صح في بعـض الروايات، ولذا قال البلقيني: أنه

أفضل من ماء الكوثر _ موجبا لتبديل المزاج وهو مما لَه دخل في التكميل الروحاني ولذا يأمر المشايخ السالكين لديهم بالرياضة التي يحصل بها تبديل المزاج، ويرشد إلى ذلك تغيير أحوال النفس وأخلاقها صبا وكهولة وشيخوخة. والمراد من إدخال الرأفة وحشو الإيمان مثلا إدخال ما به يحصل كمال ذلك وكثيرا ما يسمى المسبب باسم السبب مجازا، ويحتمل أن يكون على حقيقته وتجسم المعاني جائز.

وقال العارف ابن أبي جمرة كما في (المواهب اللدنية للقسطلاني) ما حاصله: أن ما دل كلام النبي ﷺ على جوهريته وجسميته من أعيان المخلوقات التي ليس للحواس إلى إدراكها سبيل هو كما دل عليه كلامه ﷺ في نفس الأمر وأن الحكم من المتكلم أو نحوه عليها بالعرضية إنما هو باعتبار ما ظهر لَه بعقله وللعقل حد يقف عنده والحقيقة في الحقيقة ما دل عليه خبر الشارع المؤيد بالوحي الإلهي والنور القدسي المحلق بجناحيهما في جو الحقائق التي حيث لا يسمع لنحلة العقل دندنة ولا للرواة عنه عنعنة. فالإيمان والحكمة ونحوهما مما دل عليه كلام النبي ﷺ على جوهريتهما محسوسة الإمعان وإن حسبها من حسبها كذلك آهـ.

والأمر فيه اعتقادا وإنكارا إليك وإلا ألزمك الاعتقاد فما أريد أن أشق عليك.

وقال بعض الأجلة لعل ذلك من باب التمثيل إذ تمثيل المعاني

قد وقع كثيرا كما مثل له ﷺ الجنة والنار في عرض حائط مسجده الشريف، وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس وهو ميل إلى عدم الوقوع حقيقة.

وقد قال غير واحد جميع ما ورد من الشق وإخراج القلب وغيرهما يجب الإيمان به وإن كان خارقا للعادة ولا يجوز تأويله لصاحية القدرة له، ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة في تأويلهم نصوص سؤال الملكين وعذاب القبر ووزن الأعمال والصراط وغير ذلك بالتشهي، وأما حكمة ذلك مع إمكان إيجاد ما ترتب عليه بدونه فقد أطالوا الكلام في بيانها فى موضعه .

وقد اختلف في سنته فذكر النووي في (الروضة) أنه كان بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر، وفي (الفتاوى) أنه كان سنة خمس أو ست من النبوة. ونقل عنه الملا أمين العمري في (شرح ذات الشفاء) الجزم بأنه كان في السنة الثانية عشرة من المبعث .

وعن ابن حزم دعوى الإجماع على ذلك وضعف ما في الفتاوى بأن خديجة رضي الله عنها لم تصل الخمس وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل كان قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر.

ووقع في حديث شريك بن أبي نمر عن أنس أنه كان قبل أن يوحى إليه ﷺ وقد خطأه غير واحد في ذلك.

ونقل الحافظ عبد الحق في كتابه (الجمع بين الصحيحين)

حديث شريك الواقع فيه ذلك بطوله ثم قال: هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك عن أنس زاد فيه زيادة مجهولة وأتي فيه بألفاظ غير معروفة .

وقد روى حديث الإسراء عن انس جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث وأجاب عن ذلك محيي السنة وغيره بما ستسمعه إن شاء الله.

وكذا اختلف في شهره وليلته، فقال النووي في (الفتاوى): كان في شهر ربيع الأول، وقال في (شرح مسلم): تبعا للقاضي عياض أنه في شهر ربيع الآخر، وجزم في الروضة بأنه في رجب، وقيل في شهر رمضان، وقيل في شوال، وكان على ما قيل في الليلة السابعة والعشرين من الشهر وكانت ليلة السبت كما نقله ابن الملقن عن رواية الواقدي، وقيل كانت ليلة الجمعة لمكان فضلها وفضل الإسراء، ورد بأن جبرائيل ﷺ صلى بالنبي ﷺ أول يوم بعد الإسراء الظهر ولو كان يوم الجمعة لم يكن فرضها الظهر . قال محمد بن عمر السفيري وفيه أن العمري ذكر في (شرح ذات الشفاء) أن الجمعة والجنازة وجبتا بعد الصلوات الخمس، وفي (شرح المنهاج) للعلامة ابن حجر، أن صلاة الجمعة فرضت بمكة ولم تقم بها لفقد العدد أو لأن شعارها الإظهار وكان ﷺ بها مستخفيا، وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة بقرية على ميل من المدينة .

ونقل الدميري عن ابن الأثير أنه قال: الصحيح عندي أنها كانت ليلة الاثنين واختاره ابن المنير. وفي (البحر) قيل أن الإسراء كان في سبع عشر من شهر ربيع الأول والرسول ﷺ ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما، وحكى أنها ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر عن الجرمي. وقيل ليلة السابع والعشرين من رجب وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته .

وبالجملة فالأقوال في هذا كثيرة. وهي على ما نقل السفيري عن الجمهور أفضل الليالي حتى ليلة القدر مطلقا، وقيل هي أفضل بالنسبة إلى النبي ﷺ ، وليلة القدر أفضل بالنسبة إلى أمته ﷺ ورد بأن ما كان أفضل بالنسبة إليه ﷺ فهو أفضل بالنسبة إلى أمته ﷺ فهي أفضل مطلقا، نعم لم يشرع التعبد فيها والتعبد في ليلة القدر مشروع إلى يوم القيامة. هكذا اختلفوا ولم يستند واحد منهم إلى حديث صحيح يقتضي القطع في شيء مما قالوا فالواجب الإمساك عن تعيين وقتها واعتقاد ما جاء به القرآن والأحاديث الصحاح من أنه ﷺ أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأن الملائكة أتوه وهو في الحجر أو في الحطيم، فتعين أنه كان قبل الهجرة كما هو مقتضى ما قدمناه من رواية الشيخين في صحيحيهما وغيرهما في غيرهما.

وقد اختلفوا أيضاً في أنه كان في اليقظة أو في المنام، فعن الحسن أنه في المنام، وروى ذلك عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما ولعله لم يصح عن عائشة كما في البحر، وكانت رضي الله

عنها إذ ذاك صغيرة ولم تكن زوجته ﷺ وكان معاوية كافرا يومئذ. واحتج لذلك بقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾(الإسراء: ٦٠) لأن الرؤيا تختص بالنوم لغة ووقع في حديث شريك المتقدم ما يؤيده.

وذهب الجمهور إلى أنه في اليقظة ببدنه وروحه ﷺ والرؤيا تكون بمعنى الرؤية في اليقظة كما في قول الراعي يصف صائدا:

وكبر للرؤيا وهش فؤاده   وبشر قلبا كان جما بلابله

وقال الواحدي: أنها رؤية اليقظة ليلا فقط وخبر شريك لا يعول عليه على ما نقل عن عبد الحق.

وقال النووي: وأما ما وقع في رواية شريك وهو نائم وفي أخرى عنه بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك أول وصول الملك إليه وليس في الحديث ما يدل على كونه ﷺ نائما في القصة كلها واحتج الجمهور لذلك بأنه لو كان مناما ما تعجب منه قريش ولا استحالوه لأن النائم قد يرى نفسه في السماء ويذهب من المشرق إلى المغرب ولا يستبعده أحد، وأيضا العبد ظاهر في الروح والبدن.

وذهبت طائفة منهم: القاضي أبو بكر والبغوي، إلى تصديق القائلين بأنه في المنام والقائلين بأنه في اليقظة وتصحيح الحديثين في ذلك بأن الإسراء كان مرتين إحداهما في نومه ﷺ قبل النبوة فأسرى بروحة توطئة وتيسيرا لما تضعف عنه قوى البشر وإليه الإشارة بقوله

تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاس ﴾(الإسراء: ٦٠) ثم أسرى بروحه وبدنه بعد النبوة. قال (في الكشف) وهذا هو الحق وبه يحصل الجمع بين الأخبار.

وحكى المازري في شرح مسلم قولا رابعا جمع بين القولين فقال: كان الإسراء بجسده ﷺ في اليقظة إلى بيت المقدس فكانت رؤية عين ثم أسرى بروحة الشريف علية الصلاة والسلام منه إلى ما فوقه فكانت رؤيا قلب ولذا شنع الكفار عليه ﷺ قوله أتيت إلى بيت المقدس في ليلتي هذه ولم يشنعوا عليه قوله فيما سوى ذلك ولم يتعجبوا منه لأن الرؤيا ليست محل التعجب، وليس معنى الإسراء بالروح الذهاب يقظة كالانسلاخ الذي ذهب إليه الصوفية والحكماء فإنه وإن كان خارقا للعادة ومحلا للتعجب أيضا إلا أنه أمر لا تعرفه العرب ولم يذهب إليه أحد من السلف.

لكن قال ابن القيم في كتاب (زاد المعاد): وكل هذا خبط وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع .

والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا ثم يقول: (أمضيت

فريضتي وخففت عن عبادي)، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشرا عشرا، وقد غلط الحفاظ شريكا في ألفاظ من الحديث الإسراء ومسلم أورد المسند منه ثم قال فقدم وأخر وزاد ونقص ولم يسرد الحديث فإجاد رحمه الله أهـ .

وابن القيم بكلامه هذا يشير إلى ما قاله الحافظ عبد الحق في حديث شريك وإلى عدم قبول ما أجاب به النووي وغيره من تعدد الإسراء والمعراج لعدم موافقته لما جاء في القصة من فرض الصلاة وغير ذلك من إنكار قريش واستنعاتهم المسجد الأقصى منه ﷺ وسؤالهم عن غيره وإخباره بما أخبرهم به وموافقة خبره للواقع فإن كل ذلك مما يقطع بأن الإسراء والمعراج لم يكونا إلا مرة واحدة على الوجه الذي ذكره الحفاظ في صحاحهم. فيكون في زمان واحد ومكان واحد، وعلى ذلك المكان فاختلاف الروايات في المكان الذي كان فيه النبي ﷺ عندما جاءه الملكان لا يمنع من الاتحاد لأن الأماكن التي جاءت في الروايات متقاربة لأن بيت أم هانيء هو بيته والإضافة إليه لأدنى ملابسة كما أن الملكين أتياه في الحجر محمول على أن ذلك بعد أن حملاه من بيت أم هانيء إلى الحجر وكل هذه الأماكن في الحرم ومتقاربة. وكذلك رواية أنه كان معه رجلان عمه وابن عمه لا تعارضها الرواية التي لم تذكر ذلك لأن الزيادة ناطقة والرواية الأخرى ساكتة عن الزيادة والساكت لا يعارض الناطق فكان المعول عليه هو ما ذكرناه من الإسراء والمعراج لم يكونا مرة واحدة وأنه كان مضطجعا بين عمه وابن عمه في بيت أم هانيء ولذلك قال الأكثر أن

المعراج كالإسراء بالروح والبدن ولا استحالة في ذلك. وما قاله الفلاسفة من الامتناع الخرق والالتئام على الأفلاك ووجود كرات نارية وغير ذلك مما يمنع الوصول إلى السماء قد تبين كذبه، وأن الأفلاك ليست أجساما صلبة وأنه لا استحالة في قبولها الخرق والالتئام، وأنه كون هناك كرة نارية لم يثبت بل الذي ثبت خلافه وأن الكواكب هي التي تسبح في أفلاكها كما قال تعالى ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(الأنبياء:٣٣) . فنسب السباحة التي هي السير مع الانبساط كسباحة السمك في الماء كما قاله ابن عباس إلى الكواكب دون الأفلاك، ولا استحالة أيضا من حيث بعد المسافة مع قصر الزمن جداً، ولا غرابة فيه ألا ترى أنه قد ثبت بالهندسة أن مساحة قطر جرم الأرض (ألفان وخمسمائة وخمسة وأربعون فرسخا ونصف فرسخ) وأن مساحة قطر كرة الشمس (خمسة أميال ونصف) مثل لقطر جرم الأرض وذلك (أربع عشر ألف فرسخ) وأن طرف قطرها المتأخر يصل موضع طرفه المتقدم في ثلثي دقيقة فتقطع الشمس بحركة الأرض على المعروف الآن أو بحركة الفلك الأعظم على رأي القدماء (أربعة عشر ألف فرسخ) في ثلثي دقيقة من ساعة مستوية والله تعالى القادر على جميع الممكنات قادر على أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي ﷺ وفيما يحمله ﷺ .

والآية وإن لم تتعرض لأنه ﷺ كان في الإسراء به محمولا على شيء لكن صحت الأخبار بأنه ﷺ أسرى به على البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فليلتحق بيانا لما أجمته الآية .

وقد ذكر الثعالبي في تفسيره في وصف البراق، أنه كان إذا أتى على واد طالت يداه وقصرت رجلاه، وإذا أتى على عقبة طالت رجلاه وقصرت يداه وكانت المسافة في غاية الطول. ففي (حقائق الحقائق) كانت المسافة من مكة إلى المقام الذي أوحى الله تعالى فيه إلى نبيه ﷺ ما أوحى قدر (ثلاثمائة ألف سنة) وقيل (خمسين ألفا) وقيل غير ذلك، وكيف يمكن أن يكون أدنى اشتباه في ذلك فضلا عن الاستحالة وقد كان معه ﷺ جبريل وهو الذي كان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف، فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس على ما قرروه في الحكمة الجديدة. وإنما يستغرب ويستبعد لو كان ﷺ ماشيا على قدميه أما إذا كان محمولا على البراق وهو من الملائكة ومعه جبريل وهو منهم وقد علمت مقدار مدة هبوطه إلى الأنبياء ورجوعه إلى السماء. والملائكة أنوار إلهية أقوى من ضياء الشمس فهم أسرع سيرا منه كما لا يخفى .

وممن صرح بأن الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح خاتم الولاية سيدي محمد بن عربي الحاتمي المشهور بمحيي الدين، فقال في الباب السادس عشر بعد الثلاثمائة: اعلم أيها الولي الحميم نور الله بصيرتك أن رسول الله ﷺ لما كان خلقه القرآن وتخلق بالأسماء وكان الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز أنه تعالى ﴿ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ على طريق التمدح والثناء على نفسه إذا كان العرش أعظم الأجسام فجعل لنبيه عليه الصلاة والسلام من هذا الاستواء

نسبة على طريق التمدح والثناء عليه حيث كان أعلى مقام ينتهي إليه من أسرى به من الرسل وذلك يدل على أنه أسرى به ﷺ بجسمه، ولو كان الإسراء به رؤيا لما كان الإسراء والوصول إلى هذا المقام تمدحا، ولا وقع من الأعراب في حقه إنكار على ذلك، لأن الرؤيا يصل الإنسان فيها إلى مرتبة رؤية الله تعالى وهي أشرف الحالات وفي الرؤية ما لها ذلك الموقع من النفوس إذ كل إنسان بل الحيوان له قوة الرؤيا فقال ﷺ عن نفسه على طريق التمدح لأنه جاء بحرف الغاية وهو حتى فذكر أنه أسر به حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام وهو قوله تعالى ﴿ **لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾(الإسراء:١) والضمير في إنه يعود عل محمد ﷺ فإنه أسرى به فرأى الآيات وسمع صريف الأقلام فكان يرى الآيات ويسمع منها ما حظه السماع وهو الصوت فإنه عَّبَر عنه بالصريف، والصريف الصوت. وبعد أن استدل على أن الصريف معناه لغة الصوت قال: فدل على أنه بقى له من الملكوت قوة مل لم يصل إليه بجسمه من حيث هو راء ولكن من حيث هو سميع فوصل إلى سماع أصوات الأقلام وهي تجري بما يحدث الله في العالم من الأحكام فهذه الأقلام رتبتها دون رتبة القلم إلا على ودون اللوح المحفوظ فإن الذي كتبه القلم الأعلى لا يتبدل وسمي (اللوح المحفوظ) من المحو فلا يمحى ما كتب فيه وهذه الأقلام تكتب في ألواح المحو والإثبات وهو قوله تعالى ﴿ **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾(الرعد:٣٩) ومن هذه الألواح تنزل الشرائع والصحف والكتب على الرسل

صلوات الله عليهم وسلامه، فلهذا يدخل في الشرائع النسخ ويدخل في الشرع الواحد النسخ في الحكم وهو عبارة عن انتهاء مدة الحكم لا عن البداء فإن ذلك يستحيل على الله تعالى ومن هنا كان يتردد ﷺ في شأن الصلوات الخمسين لما فرضت عليه بين موسى وبين ربه إلى هذا الحد كان منتهاه فيمحو الله عن أمة محمد ﷺ ما شاء الله من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الألواح إلى أن أثبت منها هذه الخمسة وأثبت لمصليها أجر الخمسين وأوحى إليه أنه لا يبدل القول لديه فما رجع بعد ذلك من موسى في شأن هذا الأمر ومن هذه الكتابة ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده. انتهى المقصود من هذا الباب مما يتعلق بالإسراء.

وأما ما يتعلق (بالمعراج) فالبعد أن بين رضي الله عنه في الباب الرابع عشر بعد الثلثمائة ما يتعلق بمعاريج الملائكة وأنه لا يعرج من الملائكة إلا من نزل وأن لهم بنظرهم إلى الحق في كل شيء ينزلون إليه فهم على الدوام إذا توجهوا لا يتوجهون إلا إلى الحق وللحق صفة العلو على الإطلاق فهم من حيث نظرهم إلى ما ينزلون إليه يقال تنزل الملائكة ومن حيث أنهم ينظرون إلى الحق ﷻ يقال تعرج الملائكة، فهم في نزولهم أصحاب عروج فنزولهم إلى الخلق عروج إلى الحق قال: ثم إن الله عين للرسل معارج يعرجون عليه وهم أتباع الأتباع فإن الرسول تابع للملك والولي تابع للرسول ولهذا قيل للرسول ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ (طه:١١٤) فهو مصغ تابع للملك ونحن مع الرسول بهذه المثابة فإذا

نـزل الملـك بالوحي على الرسول وتلقاه منه ألقاه الرسول على التابع وهـو الصـاحب فـتلقاه منه فإذا عرج الملك عرج بذاته لأنه رجوع إلى أصـله وإذا عـرج الرسـول ركـب الـبراق فعرج به البراق بذاته وعرج الرسـول لعـروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية فكان محمولا في عـروجه حملـه مـن عـروجه ذاتـي فتميز عروج الرسول عن عروج الملـك ثـم أنـه لمـا وصـل إلى الذي لا يتعداه البراق وليس في قوته أن يـتعداه تـدلى إلى الرسـول الرفـرف فـنـزل عـن الـبراق واسـتوى على الرفـرف وصعد به الرفرف وفارقه جبريل فسأله الصحبة فقال أنه لا يطـيق ذلـك وقـال لـه ﴿ وَمَـا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾(الصافات: ١٦٤) . فلـو أراد الحـق صـعوده فـوق ذلـك المقام لكان محمولا مثل ما حمل الرسـول ﷺ ولمـا وصل المعراج الرفرفي بالرسول ﷺ إلى مقامه الذي لا يـتعداه الرفـرف زج بـه في الـنور زجة غمره النور من جميع نواحيه وأخـذه الحـال فصـار يـتمايل فيه تمايل السراج إذا هب عليه نسيم رقـيق يمـيله ولا يطفـئه ولا يرى معه أحدا يأنس به ولا يركن إليه، وقـد أعطـته المعـرفة أنه لا يصح الإنس إلا بالمناسب ولا مناسبة بين الله وعـبده، وإذا أضـيفت المؤانسة فإنما ذلك إلى وجه خاص يرجع إلى السـكون فأعطـته ﷺ هـذه المعرفة الوحشة لإنفراده بنفسه، وهذا ممـا يـدل عـلى أن الإسـراء كان بجسمه ﷺ، لأن الأرواح لا تتصف بالوحشـة والاسـتيحاش، فلما علم الله ذلك منه وكيف لا يعلمه وهو الـذي خلقـه في نفسـه وطلب عليه السلام الدنو منه بقوة المقام الذي هـو فـيه، فـنودي بصوت يشبه صوت أبي بكر تأنيسا له به إذ كان

أنيسه في المعهود فحن لذلك وأنس به وتعجب من ذلك اللسان في ذلك الموطن وكيف جاءه من العلو وقد تركه في الأرض، وقيل له في ذلك النداء يا محمد قف إن ربك يصلي فأخذه بذلك الخطاب انزعاج وتعجب كيف تنسب الصلاة إلى الله تعالى فتلا عليه في ذلك المقام ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ ﴾(الأحزاب:٤٣) . فعلم ما أراد بنسبة الصلاة إلى الله فسكن روحه ﷺ مع كونه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكن قد وصف نفسه بأنه لا يفعل أمرا حتى يفرغ من أمر آخر فقال ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلان ﴾(الرحمن:٣١) فمن هذه الحقيقة قيل له ﷺ قف إن ربك يصلي أي لا يجمع بين شغلين، يريد بذلك العناية بمحمد ﷺ حيث يقيمه في مقام التفرغ له فهو تنبيه على العناية به، والله أجل وأعلى في نفوس العارفين به من ذلك فإن الذي ينال الإنسان من المتفرغ إليه أعظم وأمكن من الذي يناله ممن ليس له حال التفرغ إليه لأن تلك الأمور تجذبه عنه فهذا في حال النبي ﷺ وتشريفه فكأنه معه في هذا المقام بمنزلة ملك استدعى بعض عبيده ليقربه ويشرفه، فلما دخل حضرته وقعد في منزلته طلب أن ينظر إلى الملك في الأمر الذي وجه إليه فيه فقيل له (تربص قليلا) فإن الملك في خلوته يعزل لك خلعة تشريف يخلعها عليك فما كان شغله عنه إلا به ولذلك فسر له صلاة الله بقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ﴾(الأحزاب:٤٣) فشرف بأن قيل له إنما غاب عنك من أجلك وفي حقك فلما أدناه تدلى إليه ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾(النجم:١٠-١١) العين أي تجلى له

في صورة علمه به فلذلك أنس بمشاهدة من علمه فكان شهود تأنيس في ذلك المقام.

فقد علمت مما أبنته لك معارج الرسل من معارج الملائكة صلوات الله على الجميع فلهذا المعراج خطاب خاص تعطيه خاصية هذا المعراج بخاصية ما عنده وخاصيته ما تنفرد به الرسالة، فكان الولي إذا عرج به فيه يكون رسولا، وقد أخبر رسول الله ﷺ أن باب الرسالة والنبوة قد أغلق فتبين لك أن هذا المعراج لا سبيل للولي إليه البتة ألا ترى النبي ﷺ في هذا المعراج قد فرضت عليه وعلى أمته خمسون صلاة فهو المعراج تشريف وليس للولي ذلك، فلما رجع إلى موسى عليه السلام قال له: (راجع ربك يخفف عن أمتك). الحديث، إلى أن صارت خمسا بالفعل وبقيت خمسين في الأجر والمنزلة عند الله والحديث صحيح في ذلك وفيه طول إلى آخر ما أطال به في هذا الباب من بيان معارج الأولياء وأن الأنبياء والرسل يشاركون الأولياء في معارجهم باعتبار أنه أولياء لا باعتبار لأنهم أنبياء ورسل، وأن براق الأولياء أعمالهم ورفرفهم صدقهم، فيكون له ذلك معراجا ورفرفا معنويا يناله فيما تعطيه خواص الهمم من مراتب الولاية والتشريف.

وإياك أن تظن أن هناك طي مسافة على نحو ما يثبته الصوفية وبعض الفقهاء للأولياء كرامة، وقد جهل بعض الحنفية مثبتية لهم وكفرهم آخرون وليس له وجه ظاهر بل ربما يلزم مثبتية القول بتداخل الجواهر. والفلاسفة والمتكلمون سوى النظام يحيلونه

ويبرهنون على استحالته، وادعى بعضهم الضرورة في ذلك وقالوا المنع مكابرة.

وإنما أسرى به ﷺ ليلا لمزيد الاحتفال به عليه الصلاة والسلام فإن الليل وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك ولا يكاد يدعو الملك لحضرته ليلا إلا من هو خاص عنده، وقد أكرم الله تعالى فيه قوما من أنبيائه بأنواع الكرامات وهو كالأصل للنهار، وأيضا الاهتداء فيه للمقصد أبلغ من الاهتداء في النهار وأيضا قالوا أن المسافر يقطع في الليل ما لا يقطع في النهار ومن هنا جاء: (عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار) . وأيضا أسرى به ليلا ليكون ما يعرج إليه من عالم النور المحض أبعد عن الشبه بما يعرج منه من عالم الظلمة وذلك أبلغ في الإعجاب.

وقال ابن الجوزي في ذلك: أن النبي ﷺ سراج والسراج لا يوقد إلا ليلا وبدر وكذا مسير البدر في الظلم إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

ولم تنص الآية على دخوله ﷺ في المسجد الأقصى، إلا أن الأخبار الصحيحة نصت على ذلك .

وقوله سبحانه ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾(الإسراء:١) صفة مدح للمسجد الأقصى، وفيها إزالة اشتراك عارض. وبركته بما خصه الله به من كونه متعبد الأنبياء عليهم السلام وقبلة لهم وكثرة الأنهار والأشجار حوله.

وفي الحديث أنه تعالى بارك فيما بين العريش إلى الفرات وخص فلسطين بالتقديس.

وقيل بركته أن جعل الله مياه الأرض كلها تنفجر من تحت صخرته. قال الألوسي والله أعلم بصحة ذلك .

وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال والأربعة التي يمنع من دخولها الدجال، فقد أخرج أحمد في المسند أن الدجال يطوف الأرض إلا أربعة مساجد: مسجد المدينة، ومسجد مكة، والأقصى، والطور. والصلاة فيها مضاعفة، فقد أخرج أحمد أيضا وأبو داود وابن ماجة عن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ أنها قالت: (يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس، قال أرض المحشر والمنشر ائتوه وصلوا فيه فإن صلاة فيه بألف صلاة) .

وفي رواية لأحمد عن بعض نسائه ﷺ أنها قالت (يا رسول الله فإن لم تستطع إحدانا أن تأتيه قال إذا لم تستطع إحداكن أن تأتيه فلتبعث إليه زيتا يسرج فيه فإن من بعث إليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه)، وروى بعضه أبو داود.

وهو ثاني مسجد وضع في الأرض لخبر أبي ذر: (قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فإن الفضل فيه).

وقد أسسه يعقوب بعد بناء إبراهيم ﷺ الكعبة بما ذكر في

الحديث وجدده سليمان أو أتم تجديد أبيه عليهما السلام بعد ذلك بكثير. والكلام فيما يتعلق بذلك مفصل في محله. وقوله تعالى ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾(الإسراء:١) أي لنرفعه إلى السماء حتى يرى ما يرى من العجائب العظيمة: فقد صح أنه ﷺ قد عرج به من صخرة بيت المقدس واجتمع في كل سماء مع نبي من الأنبياء عليهم السلام كما في صحيح البخاري وغيره واطلع ﷺ على أحوال الجنة والنار ورأى من الملائكة ما لا يعم عدتهم إلا الله تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١) يجوز أن يكون الضمير له تعالى كما هو الأظهر وعليه الأكثر فيطابق قوله تعالى (بِعَبْدِهِ) ويؤيد ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقعه وينطبق عليه التعليل أتم انطباق. فإن المعنى قربه وخصه بهذه الكرامة لأنه سبحانه مطلع على أحواله وعالم باستحقاقه لهذا المقام أو أنه تعالى هو السميع لأقوال ذلك العبد البصير بأفعاله وبكونها مهذبة خالصة عن شوائب الهوى مقرونة بالصدق والصفاء مستأهلة للقرب والزلفى. ويجوز أن يكون الضمير له ﷺ ويكون المعنى أن هذا العبد هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا أو أن العبد الذي شرفته بهذا التشريف هو المستأهل له فإنه السميع لأوامري ونواهي العامل بهما البصير الذي ينظر بنظرة العبرة في مخلوقاتي فيعتبر أو البصير بالآيات التي أريناه إياها كقوله تعالى ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾(النجم:١٧) وأيد هذا بمطابقة الضمائر العائدة عليه ﷺ وكذا لما عبر به عنه من قوله سبحانه عبده ولعل السر في مجيء الضمير محتملا للأمرين_كما قال الطيبي الإشارة إلى

أنه ﷺ إنما رأى رب العزة وسمع كلامه به سبحانه كما في الحديث القدسي (بي يسمع وبي يبصر) وإنما أتى بضمير الفصل إما لأن سماعه تعالى بلا أذن وبصره بلا عين على نحو لا يشاركه فيه تعالى أحد، وإما للإشعار بإخصاصه ﷺ بتلك الكرامة.

(وهذا هو المقام الثاني) وهو (عروجه إلى السماء) وهو ثابت بالقرآن وبالأحاديث الصحيحة. أما القرآن فقد قال تعالى ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾(النجم:١) أي أقسم بالنجم إذا غرب وقيل إذا طلع ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾(النجم:٢) أي ما عدل عن طريق الحق وما اعتاد باطلا قط فنفى عنه الضلال لبيان أنه على الصواب في أقواله وأفعاله ونفى عنه الغي الذي هو الجهل مع اعتقاد فاسد وإن كان داخلا فيما قبله للاعتناء بالاعتقاد وللإشارة إلى أنه هو الذي عليه المدار في النجاة وصحة الأعمال، والخطاب لقريش. وأورده تعالى بعنوان الصاحب لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبرا ببراءته ﷺ مما نفى عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى وإتباع الحق والسداد والرشاد فإن طول صحبتهم له ﷺ ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما، ففي ذلك تأكيد لإقامة الحجة عليهم، وإنما أقسم هنا بالنجم إذا غرب أو طلع للإشارة إلى أن محمدا ﷺ هو النجم الذي يهتدى به فكيف يمكن أن يكون ضالا وغاويا ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾(النجم:٣) أي النبي ﷺ ما يصدر نطقه فيما أتاكم به من جهته عز وجل كالقرآن أو من القرآن عن هوى نفسه ورأيه أصلا ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

(النجم:٤) أي ما الذي ينطق به إلا وحي من الله ﷻ يوحيه الله سبحانه إليه ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ ﴾(النجم:٥-٦) أي علم صاحبكم وهو محمد ﷺ جبريل الذي هو شديد القوى كما قال ابن عباس وقتادة والربيع. فإن جبريل عليه السلام هو الواسطة في إبداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين. وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس على ما قرروه في الحكمة الجديدة، والذي هو ذو مرة أي حصافة واستحكام في العقل ففي الأول وصفه بالقوة في الفعل وفي هذا وصفه بقوة النظر والعقل وهو كناية عن ظهور الآثار البديعة. ﴿ فَاسْتَوَى ﴾(النجم:٦) أي فاستقام جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها وذلك عند غار حراء في مبدأ النبوة وكان له عليه السلام _كما في حديث الإمام أحمد وعبد بن حميد وجماعة عن ابن مسعود _ (ستمائة جناح كل جناح منها يسد الأفق) فالاستواء ههنا بمعنى اعتدال الشيء في ذاته، كما قال الراغب وهو المراد بالاستقامة أيضا، وليس المراد منه ضد الاعوجاج ومن ذلك استوى الثمر بمعنى نضج، يعني استوى جبريل مع محمد عليهما السلام ليلة المعراج ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾(النجم:٧) أي جبريل بالأفق الأعلى وهو الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر ،أصل معنى الأفق الناحية. وما ذكره أهل الهيئة معنى اصطلاحي لهم.

واختلف في الضمير فقيل عائد إلى النبي ﷺ والضمير في استوى عائد إلى جبريل عليه السلام وجوز العكس ولا يخفى ما في ذلك من تشتيت الضمائر فالأقرب أن كل الضمائر عائدة إلى جبريل عليه السلام ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾(النجم:٨) أي أقر بجبريل من النبي ﷺ فتعلق جبريل في الهواء، ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير، والدوالي (الثمر المعلق) كعناقيد العنب ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾(النجم:٩) أي فكان جبريل عليه السلام قريبا منه ﷺ مقدار قوسين، وفيه إشارة إلى ما كانت العرب تفعله في الجاهلية إذا تحالفوا لأنهم كانوا يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى فيكون القاب ملاصقا للآخر حتى كأن القوسين ذاتا قاب واحد ثم ينزعونها معا ويرمون بهما سهما واحدا فيكون ذلك إشارة إلى أن رضا أحدهم رضا الآخر وسخطه سخطه لا يمكن خلافه. ولا يخفي حسن موقع هذا الكلام في هذا الموضع ودلالته على شدة الاتصال بين النبي ﷺ وجبريل عليه السلام ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾(النجم:١٠) أي فأوحى جبريل إلى عبد الله الذي أوحاه إليه، وأبهم الوحي للتفخيم، ويجوز عود الضمير في قوله: (ما أوحى إلى الله تعالى)، أي أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحاه الله إلى جبريل، والأول مروي عن الحسن وهو أحسن ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾(النجم:١١) أي ما كذب فؤاد النبي ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام . أي ما قال فؤاده ﷺ حين أبصره جبريل لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره، فما كذب بمعنى ما قال الكذب. وقيل المعنى ما كذب

الفؤاد البصر فيما حكاه له من صورة جبريل عليه السلام، وعلى كل حال فهذا من عالم الملكوت يدرك أولا بالقلب ثم ينتقل منه إلى البصر. ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾(النجم:١٢) خطاب لقريش أي أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة. ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾(النجم:١٣-١٤) أي أقسم قد رأى النبي ﷺ جبريل في صورته التي خلقه الله عليها مرة أخرى. ومرة أصلها مصدر مر يمر فعبر عن المرة بنزلة ولم يقل مرة بدلها ليفيد أن الرؤية في هذه المرة كانت بنزول ودنو كالرؤية في المرة الأولى الدال عليها ما مر. والمراد من هذه الجملة القسمية تأكيد نفي الريبة والشك عن المرة الأخيرة وكانت ليلة الإسراء ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ وهي شجرة نبق عن يمين العرش في السماء السابعة على المشهور.

وفي حديث أخرجه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم (في السماء السادسة نبقها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان الفيلة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها).

وأخرج الحاكم وصححه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما مرفوعا: (يسير الراكب في الفنن منها مائة سنة) والأحاديث ظاهرة في أنها شجرة نبق حقيقية والنبات في الشاهد يكون ترابيا ومائيا وهوائيا ولكن لا يبعد من الله تعالى أن يخلقه في أي مكان شاء.

وقد أخبر الله سبحانه عن شجرة الزقوم أنها تنبت في أصل

الجحيم وعلى كل حال فهي من عالم الملكوت لا من عالم الشهادة كما سيأتي الكلام عليه. وقيل (إطلاق السدرة) عليها مجاز لأنها تجتمع عندها الملائكة عليهم السلام كما يجتمع الناس في ظل السدرة. وقيل لها (سدرة المنتهى) لأنها كما أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس (إليها ينتهى علم كل عالم وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى) أو لأنها لا ينتهى إليها علم الأنبياء ويعزب علمهم عما وراءها، أو لأنها تنتهي إليها أعمال الخلائق بأن تعرض على الله عندها، أو لأنها ينتهى إليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من تحتها، أو لأنها تنتهي إليها أرواح الشهداء أو المؤمنين مطلقا، أو لانتهاء من رفع إليها في الكرامة. وفي (الكشاف) كأنها منتهى الجنة وآخرها، ولا يخفى أنه لا مانع أن تكون جامعة لكل ما ذكر من الأقوال لعدم التنافي ويكون كل قائل اقتصر فيما يقول على ما سمعه ورواه. ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾(النجم:١٥) أي عند السدرة المذكورة جنة المأوى أي الجنة التي يأوي إليها المتقون يوم القيامة وهي جنة الخلد كما روى عن الحسن واستدل به على أن الجنة في السماء .

وقال ابن عباس _بخلاف في النقل عنه _ وقتادة هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء وليست بالتي وعد المتقون.

وقيل هي جنة تأوي إليها الملائكة، والأول هو الأظهر حملا للفظ على معناه المعروف، لكن الثاني والثالث يوافقان ما تقدم في تفسير المنتهى، خصوصا وأن حديث ابن عباس السابق صريح في

أنها السماء السادسة ولم يقل أحد أن الجنة فيها بل الذي عين مكانها قال: (أنها فوق الكرسي وسقفها عرش الرحمن) ومن هذا تعلم حال ما قاله الزمخشري من أنها منتهى الجنة وآخرها، إلا إذا حمل على ما قاله قتادة خصوصا، وقد قرأ عليٌ وأبو الدرداء وأبو هريرة وابن الزبير وأنس وَزِرٌ ومحمد بن كعب وقتادة، جنة بها الضمير وهو ضمير النبي ﷺ (وَجَنّ) فعل ماض أي عندها ستره إيواء الله تعالى وجميل صنعه به أو ستره المأوى بظلاله فإن هذا لا يلائم أن المراد في القراءة المتواترة جنة الخلد.

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾(النجم:١٦) أي يغطي السدرة ما يغطيها من الأمر الذي لا يحيط به نطاق البيان. وورد في بعض الأخبار تعيين هذا الغاشي: فعن الحسن (غشيها نور رب العزة جل شأنه فاستنارت) ونحوه ما روي عن أبي هريرة (يغشاها نور الخلاق سبحانه)، وعن ابن عباس (غشيها رب العزة)، وهو على هذا من المتشابه.

وقال ابن مسعود ومجاهد وإبراهيم النخعي: (يغشاها جراد من ذهب).

وروي عن مجاهد: أن ذلك تبدل أغصانها لؤلؤا وياقوتا وزبرجدا.

وأخرج عن عبد بن حميد عن سلمة قال: (استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا إلى النبي ﷺ فأذن لهم فغشيت

الملائكة السدرة لينظروا إليه ﷺ)، وعلى هذا يكون الغشيان بمعنى الإتيان وهو يأتي بمعنى الإتيان كما يأتي بمعنى التغطية.

وقولَه تعالى ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾(النجم:١٧) أي ما مال بصره ﷺ عما رآه وما تجاوزه بل أثبته إثباتا صحيحا مستقيما وهذا تحقيق للأمر ونفي للريب عنه. أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها إلى ما لم يؤمر برؤيته، ولا مانع من أن يكون لعموم الأمرين وحذف المتعلق يؤذن به.

وقولَه تعالى ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾(النجم:١٨) أقسم الله تعالى أنه قد رأى الآيات الكبرى من آياته تعالى وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج، وقد جاء في بعض الأخبار تعيين ما رأى ﷺ

أخرج البخاري وابن جرير وابن المنذر وجماعة ابن مسعود أنه قال: في الآية رأى رفرفا أخضر من الجنة قد سد الأفق .

وعن ابن زيد رأى جبريل عليه السلام في الصورة التي هو بها والذي ينبغي أن لا يحمل ذلك على الحصر كما لا يخفى فقد رأى ﷺ آيات كبرى ليلة المعراج لا تحصى ولا تكاد تستقصى.

هذا وقد فسرت الآيات التي ذكرناها بغير ما ذكرناه، فعن الحسن أن المراد بـ ﴿ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ هو الله تعالى لا جبريل وفسر ذو مرة عليه بذي حكمة ويكون الضميران في قولَه تعالى ﴿ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾(النجم:٦-٧) كما قال أبو حيان عائدين إليه تعالى، وقال أن ذلك على معنى العظمة والقدرة والسلطان وعليه

أيضـا تجعـل الضـمائر في قولـه تعـالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾(النجم:٨-١٠) له ﷻ وكذا الضمير المنصوب في قوله ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾(النجم:١٣) .

فقـد كـان ابن مسعود ﷺ يحلف لقد رأى محمد ﷺ ربه وفسر دنـوه تعالى من النبي ﷺ برفع مكانته ﷺ عنده سبحانه وتدليله جل وعلا بجذبه بشرا شره إلى جناب القدس، ويقال لهذا الجذب الفناء في الله تعـالى عند المتأهلين، وأريد بنزوله تعالى نوع من دنوه المعنوي جـل شـأنه. وجـوز بعضـهم أن تكـون الضـمائر في دنى ﴿ فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ على ما روى عن الحسن للنبي ﷺ .

والمـراد ثـم دنـا الـنبي ﷺ مـن ربـه تعـالى فكان منه عز وجل (قاب قوسين أو أدنى) والضمائر في قوله (فأوحى) الخ إلى الله تعالى. وأشـار بقولـه إلى عـبده ولم يقل إليه إلى التفخيم فالآية على هذا من المتشـابه والأمر فيه مشهور. وذهب غير واحد في قوله تعالى ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾ إلى أنه في أمر الوحي وتلقيه من جبريل عليه السلام على ما سمعت فيما تقدم.

وفي قولـه تعـالى ﴿ ثُـمَّ دَنَـا فَـتَدَلَّى ﴾(النجم:٨) الخ إلى أنه في أمر العروج إلى الجناب الأقدس ودنوه سبحانه منه ﷺ ورؤيته ﷺ إياه جلا وعـلا. فالضمائر في (دنا وتدلى) و(كان) و(أوحى) وكذا الضمير المنصوب في رآه لله ﷻ ويشـهد لهذا ما في حديث أنس عند البخاري من طريق شريك بن عبد الله: ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء

سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه ما أوحى خمسين صلاة . الحديث .

فإنه ظاهر فيما ذكر واستدل به مثبتو الرؤية كحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما وغيره.

وقالت عائشة رضي الله عنها خلاف ذلك فنفت الرؤية مطلقا.

أخرج مسلم عن مسروق قال: (كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث مرات من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله تعالى الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، وكنت متكئا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ (التكوير:٢٣) ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾(النجم:١٣) . فقالت: أنا أول هذا الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: لا، إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين: رأيته منهبطا من السماء ساداً أعظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض) الحديث.

وأخرج البخاري أيضا عن مسروق قال: (قلت لعائشة رضي الله عنها يا أماه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(الأنعام:١٠٣) ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ

أَنْ يُكَلِّمَـهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾(الشورى:٥١) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ﴾(لقمان:٣٤) ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾(المائدة:٦٧) لكنه رأى جبريل عليه السلام مرتين. اهـ .

وفي رواية ابن مردويه ومن طريق آخر عن داود ابن أبي هند عن الشعبي عن مسروق فقالت: (أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: إنما رأيت جبريل منهبطا. ولا يخفى أن جواب رسول الله ﷺ ظاهر في أن الضمير المنصوب في رآه ليس راجعا إليه تعالى بل إلى جبريل واستدلت عائشة على ذلك بقوله تعالى ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾(الأنعام:١٠٣) وبقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾(الشورى:٥١) فعلى هذا عائشة رضي الله عنها تنفي الرؤية مطلقا كما قلنا وهو ظاهر ما قدمناه عن البخاري. ووجه الاستدلال بالآية الأولى أن الله ﷻ نفى أن تدركه الأبصار ونفي الإدراك يقتضي نفي الرؤية.

وأجاب مثبتو الرؤية بأن المراد بالإدراك الإحاطة وهو إدراك الكنة وهم يقولون بنفيه أيضا، ونفي الإحاطة لا يستلزم نفي الرؤية

وقال النووي لم تنف عائشة الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها حديث فيه لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط من ظاهر الآية،

وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي إذ قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا، وقد خالف عائشة ابن عباس فأخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين.

وروى ابن خزيمة بإسناد قوي عن أنس قال رأى محمد ربه، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس وكعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون.

وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمد رأى ربه.

وأخرج ابن خزيمة عن عروة ابن الزبير إثباتها وكان يشتد إذا ذكر له إنكار عائشة رضي الله عنها وهو قول الأشعري وغالب أتباعه واستدلت عائشة أيضا بالآية الثانية .

ووجه الاستدلال بها أن الله تعالى حصر تكليمه لغيره في ثلاثة أوجه وهي (الوحي بأن يلقى في روعه ما يشاء)، أو (يكلمه بغير واسطة من وراء حجاب)، أو (يرسل رسولا فيبلغه عنه). فيستلزم ذلك انتفاء الرؤية عند حالة التكلم.

وأجابوا عنه بأن ذلك لا يستلزم نفي الرؤية مطلقا وغاية ما يقتضي نفي تكليم الله على غير هذه الأحوال الثلاثة فيجوز أن التكلم لم يقع حالة الرؤية.

وأقول قول النووي وأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها فيه حديث مرفوع لذكرته غريب منه وهو محيي السنة، فإن عائشة تقول فيما رواه مسلم عن مسروق عنها قالت: (أنا أول هذه الأمة سأل ذلك رسول الله ﷺ فقال لا إنما جبريل لم أره على ثورته) إلى آخر ما قدمناه . وهكذا قالت أيضا فيما رواه ابن مردويه عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عنها كما سبق.

وقد وفق بعضهم بأن عائشة رضي الله عنها لا تنفي الرؤية مطلقا كما شاع عنها ولكنها إنما تنفي رؤية تدل عليها آية النجم التي نحن بصددها واحتج بها مسروق فحاصل ما روي عنها نفى صحة الاحتجاج بالآية مذكورة على رؤيته ﷺ ربه سبحانه ببيان أن مرجع الضمير فيها إنما هو جبريل عليه السلام على ما يدل عليه جواب رسول الله ﷺ إياها وحمل قوله ﷺ في جوابها لا على أنه نفي للرؤية المخصوصة وهي التي يظن دلالة الآية عليها ويرجع إلى نفي الدلالة. ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء المطلق ولكن هذا التوفيق لا يلائم استدلال عائشة بالآيتين السابقتين، فالإنصاف أن الأحاديث التي رويت عن عائشة ظاهرة جدا في أنها تنفي الرؤية مطلقا وتستدل بالآيتين السابقتين وقد علمت الجواب عن استدلالها بهما، والظاهر أن ابن عباس لم يقل بالرؤية إلا عن سماع.

وقد أخرج عنه أحمد أنه قال: قال رسول الله ﷺ (رأيت ربي)، ذكره الشيخ محمد الصالحي الشامي تلميذ الحافظ السيوطي في الآيات البينات وصححه.

وجمع بعضهم بين قولي ابن عباس وعائشة بأن قول عائشة محمول على نفي رؤيته تعالى في نوره الذي هو نوره المنعوت بأنه لا يقوم له بصر، وقول ابن عباس محمول على ثبوت رؤيته تعالى في نوره الذي لا يذهب بالأبصار بقرينه قوله في جواب عكرمة عن قوله[1] تعالى لا تدركه الأبصار ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره وبه يظهر الجمع بين حديثي أبي ذر .

أخرج مسلم من طريق يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال: (نور أني أراه) .

ومن طريق هشام وهمام كلاهما عن قتادة عن عبد الله قال: قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته فقال عن أي شيء كنت تسأله؟ قال : كنت اسأله هل رأيت ربك؟ فقال: أبو ذر قد سألته فقال: رأيت نورا، فيحمل النور في الحديث الأول على النور القاهر للأبصار يجعل التنوين للنوعية أو للتعظيم، والنور في الثاني على ما يقوم به البصر والتنوين للنوعية وإن صحت رواية الأول كما حكاه أبو عبد الله المازري بلفظ نوراني بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء لم يكن اختلاف بين الحديثين ويكون نوراني بمعنى المنسوب إلى النور على خلاف القياس ويكون المنسوب إليه هو نوره الذي هو نوره والمنسوب هو النور المحمول على الحجاب حمل مواطأة في حديث السبحات في قوله ﷺ {حجابه النور وهو النور المانع من الانحراق الذي يقوم له البصر} .

ثـم إن القائلين بالرؤية اختلفوا فمنهم من قال أنه ﷺ رأى ربه سبحانه بعينيه، وروى ذلك ابن مردويه عن ابن عباس وهو مروي أيضا عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل. ومنهم من قال رآه ﷺ بقلبه وروي ذلك عن أبي ذر.

أخرج النسائي عنه أنه قال رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره. وكذا روى عن محمد بن كعب القرظي، بل أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أنه قال: قالوا يا رسول الله رأيت ربك قال: رأيته بفؤادي مرتين ولم أره بعيني ثم قرأ ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾(النجم:١١) .

وفي حديث عن ابن أبي عباس يرفعه (فجعل النور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي) وكان التقدير في الآية على هذا (ما كذب الفؤاد فيما رأى) .

ومنهم من ذهب إلى أن إحدى الرؤيتين كانت بالعين والأخرى بالفؤاد وهي رواية عن ابن عباس، أخرج الطبراني وابن مردويه عنه أنه قال أن محمد ﷺ رأى ربه ﷻ مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده.

ونقل القاضي عياض عن بعض مشايخه أنه توقف أي في الرؤية بالعين وقال أنه ليس عليه دليل واضح، قال في الكشف لأن الروايات مصرحة بالرؤية أما أنها بالعين فلا.

وعن الإمام أحمد أنه كان يقول إذا سئل عن الرؤية: رآه رآه حتى ينقطع نفسه ولا يزيد على ذلك وكأنه لم يثبت عنده ما

ذكرناه، واختلف فيما يقتضيه ظاهر النظام الجليل فجزم صاحب الكشف بأن ما عليه الأكثرون من أن الدنو والتدلي مقسم ما بين النبي وجبريل صلاة الله وسلامه عليهما، أي وأن المرئي هو جبريل وإذا صح خبر جوابه ﷺ لعائشة رضي الله عنها لم يكن لأحد محيص عن القول به وكيف لا يصح وقد رواه الشيخان وعلى ذلك يحمل ما قالته عائشة على نفي الرؤية العينية ولذلك لما نفت رضي الله عنها رؤية رسول الله ﷺ ربه بعينه في سؤال مسروق منها عن ذلك استدركت بقولها، لكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين وأشارت بذلك إلى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾(النجم:١٣) .

قال الثعلبي: أي مرة أخرى وسماها نزلة على الاستعارة وذلك أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها مرتين مرة بالأرض في الأفق الأعلى ومرة في السماء عند سدرة المنتهى.

وهذا قول عائشة وأكثر العلماء وهو الاختيار لأن قرن الرؤية بالمكان فقال عند سدرة المنتهى ولأنه قال نزلة أخرى، ووصف الله تعالى بالمكان والنزول الذي هو الانتقال محال. فإن قلت كيف التوفيق بين نفي عائشة والرؤية واثبات ابن عباس إياها قلت يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب والدليل على هذا ما رواه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾(النجم:١٢-١٣) . قال رأى ربه بفؤاده مرتين .

ولـه مـن طـريق عطـاء أيضا عن ابن عباس قال: لم يره رسول الله ﷺ بعينـه إنما رآه بقلبه . وقد رجح القرطبي قول الوقف في هذه المسـألة وعـزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس في الباب دليل قـاطع وغايـة مـا اسـتدل به للطائفين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل. قال: وليست المسألة من العمليات فيكتفي فيها بالأدلة الظنية وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها إلا بالدليل القطعي. أهـ .

وأنـت تعلم أن الرؤية البصرية لها لوازم ضرورية لا يمكن أن تقـع بدونهـا لاسـتحالتها في حقـه تعـالى فـإن مـن لوازمها محاذاة الرائي للمرئي وعدم الحجاب الكثيف وعدم القرب جداً وعدم البعد جـداً وغـير ذلـك، وكـل هذه محالة في حقه تعالى فلو فرض صحة روايـات أن الـرؤية بـالعين فـلا بـد مـن تأويـلها بما يوافق الدليل العقلي . على أن هناك دليلا صريحا على عدم وقوع رؤية الله تعالى بالأبصـار في الدنيا وذلك بما رواه مسلم من حديث أبي أمامة قال: قال ﷺ : (واعلموا إنكم أن تروا ربكم حتى تموتوا).

وأمـا رؤيـة الـنبي ﷺ ربه ﷻ ليلة المعراج فلم تكن في الدنيا بل كانـت في الملكـوت الأعـلى، والدنـيا لا تطلـق عليه كما نقله العيني في (عمـدة القاري) عن بعض المحققين، فتكون هذه الرؤية ملكوتية خالية مـن تلك اللوازم فتتحد قطعا مع رؤية البصيرة والقلب وعلى هذا يجب حمـل كـل الـروايات التي جاءت فيها أن الرؤية كانت بصرية ويكون الخـلاف لفظـيا كمـا هو لفظي بين من قال برؤيته تعالى بالأبصار الخ، وبين من نفاها فإن من نفاها فإنما نفى الرؤية من لوازمها ما قدمناه من

المحالات ولا يستطيع أن يخالفه في ذلك أحد، ومن أثبتها فإنما أثبت رؤية خالية من تلك اللوازم وهذه بالضرورة حقيقية أخرى غير حقيقية الرؤية ذات تلك اللوازم. فخذ هذا التحقيق.

(وأما ما جاء في المعراج من السنة) فقد روى البخاري بسنده [١] عن أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعه قال: قال النبي ﷺ (بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان- وذكر بين رجلين- فأتيت بطست من ذهب مُليءَ حكمة وإيماناً فَشُقَّ من النحر إلى مراقّ البطن ثم غُسل البطن بماء زمزم مُليءً حكمة وإيماناً وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار- البراقُ- فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل مرحبا به ولنعم المجيءُ جاء. فأتيت على آدم فسلمت عليه. فقال: مرحبا بك من ابن ونبيّ. فأتينا السماء الثانية. قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على عيسى ويحيى فقالا: مرحبا بك من أخ ونبيّ. فأتينا السماء الثالثة. قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت يوسف فسلمت عليه. فقال: مرحبا بك من أخ ونبيّ. فأتينا السماء الرابعة. قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: من معك. قيل: محمد . قيل: أوقد أرسل إليه؟ قيل: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء.

فأتيت على إدريس فسلمت عليه. فقال: مرحبا بك من أخ ونبيّ. فأتينا السماء الخامسة. قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: من معك. قيل: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قيل: نعم. قيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء. فأتينا على هارون فسلمت عليه. فقال: مرحبا بك من أخ ونبيّ فأتينا على السماء السادسة. قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: من معك. قيل: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل مرحبا به، ولنعم المجيء جاء. فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبيّ. فلما جاوزت بكى فقيل ما أبكاك قال: يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي. فأتينا السماء السابعة. قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: من معك. قيل: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء. فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه. فقال: مرحبا بك من ابن ونبيّ. فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخِرَ ما عليهم، ورُفِعَتْ لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فسألت جبريل فقال: أما الباطنات ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات. ثم فرضت عَلِيَّ خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضتْ عَلِيَّ خمسون صلاة قال: أنا أعلم بالناس منك عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا تطيق

فارجع إلى ربك فسله فرجعت فسألته فجعلها أربعين ثم مِثْلهُ ثم ثلاثين ثم مِثْلهُ فجعل عشرين ثم مِثْلهُ فجعل عشراً فأتيت موسى فقال مثله فجعلها خمسا فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت جعلها خمسا فقال مثله قلت: سلمت بخير، فنودي: (أني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي واجزي الحسنة عشرا) اهـ .

وهذا الحديث أخرجه البخاري في الحج مختصرا وفي (كتاب الصلاة) بسنده عن أبي ذر وفي بدء الخلق بسنده عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعه، وفي الأنبياء بسنده عن أبي ذر أيضا .

وفي آخر كتابه بسند فيه شريك بن عبد الله عن أنس لابن مالك . وجاء فيما أخرجه في كتاب الصلاة قال أنس: فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة وهذا مخالف لما في الحديث.

وقد قيل في التوفيق بينهما بأنه وجده في السادسة ثم ارتقى هو أيضا إلى السابعة، وكذا اختلف في موسى هل هو في السادسة أو السابعة والتوفيق فيه بمثل ما ذكر. ومراده بقوله "ولم يثبت" أنه لم يثبت فيما كان يحدث به أبو ذر فلا ينافي ثبوته في هذا الحديث.

وقد أخرجه مسلم أيضا في الإيمان بسنده عن معاذ بن هشام.
وأخرجه الترمذي في التفسير عن محمد بن بشار عن غندر .

وأخرجه النسائي في الصلاة عن يعقوب عن إبراهيم الدورقي.

وقد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة لكن طرقه في الصحيحين مقتصرة على أنس مع اختلاف أصحابه عنه، فرواه الزهري عن أبي ذر كما في هذا الباب. ورواه قتادة عن مالك بن صعصعه ورواه شريك بن أبي ذر وثابت البناني عن النبي ﷺ بلا واسطة وفي سياق كل واحد منهم ما ليس عند الآخر.

وأخرجه النسائي أيضا من طرق كثيرة عن أنس وأصح الروايات في ذلك ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك بن صعصعة وهو ما قدمناه ومع ذلك فيمكن التوفيق.

ومعنى (رفع لي البيت المعمور)، أي كشف لي وقرب مني والرفع التقريب والعرض وكأنه أراد أن البيت المعمور ظهر لَه كل الظهور، وكذلك سدرة المنتهى اسْتبُيِنَتْ لَه كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب إليه.

وفي معناه (رفع لي البيت المقدس). (والبيت المعمور) بيت في السماء حيال الكعبة اسمه (الضراح) بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وبالحاء المهملة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة.

وقولَه: (نهران باطنان). قال مقاتل: هما السلسبيل والكوثر، ونهران ظاهران ووجد بيانهما في الحديث بقولَه: النيل والفرات، قيل يخرجان من أصلهما ثم يسيران حيث أراد الله تعالى ثم يخرجان من الأرض ويجريان فيها .

وعن ابن عباس أن جميع المياه من تحت صخرة بيت المقدس

ومـن هـنا يـتفرق في الدنـيا وقـد علمت أن الألوسي قال في هذا: الله أعلم بصحته فتذكر.

قـال البدر العيني في (عمدة القارئ) أما النيل فمبدؤه من جبل القُمْـر بضـم القـاف وسـكون المـيم وقـيل بفـتح الميم تشبيها بالقمر في بياضـه، وقـيل ينـبع مـن اثني عشر عينا هناك ويجري ثلاثة أشهر في القفـار وثلاثـة أشـهر في العمـران، إلى أن يجـيء إلى مصر فيفترق فرقـتين عـند قـرية يقـال لهـا شنطوف فيمر الغربي منها على رشيد وينصـب في البحر الملح. وأما الشرقي فيفتق أيضا فرقتين عند جَوْجَر فـتمر الغربـية مـنهما عـلى دمياط من غربيها وينصب في البحر الملح والشـرقية مـنهما تمـر عـلى أشمـون طـناح فينضـب هناك في بحيرة شـرقي دمـياط يقـال لهـا بحـيرة تنـيس وبحيرة دمياط. وأما الفرات فأصـله من أطراف أرمينية قريب من قاليقلا، ثم يمر على بلاد الروم ثـم يمـر بـأرض ملطـية ثـم عـلى سُمَيسَاط وقلعة الروم والبيرة وجسر منْبج وبالس وجعبر والرقة والرحبة وقرقيسيا وعانة والحديثة وهيت والأنـبار ثم يمر بالطفوف ثم بالحلة ثم بالكوفة وينتهي على البطائح وينصـب في الـبحر الشرقي، قالوا ومقدار جريانها على وجه الأرض أربعمائة اهـ. هذا كله بحسب ما وقفوا عليه في زمانهم.

وأمـا زمانـنا فقـد اكتشفوا منابع النيل وسائر الأنهار وضبطوها ضبطا دقيقا فمن أراد أن يقف عليه فليطلبه في محله وعلى كل حال فـالذي رآه ﷺ عند سدرة المنتهى إنما هو مثالهما كما مثلت لَه النار والجنة وسائر الأنبياء وغير ذلك.

قولـه في الحديـث أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران النيل والفرات. ولم يقل أنهما في الجنة أو من الجنة كما قال في الباطنين، والأحاديـث لا تجيء على خلاف المشاهدات الثابتة بالحس الصادق قطعا فـلا تغـتر بمـا يقولـه المتشـدقون المـتعولون المتصـولحون الذين يريدون أن يكذبُ الله ورسوله.

هـذا ومـا قدمـناه أنـه تعالى قال في سورة الإسراء ﴿ **لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** ﴾(الإسراء:١) وفي سورة النجم ﴿ **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ (النجم:١٨) فنذكر لك طرفا مما رآه من الآيات.

فقـد رأى بيـنما هـو يسـير عـلى البراق من المسجد الحرام إلى المسـجد الأقصـى عفريـتا من الجن أي جنيا متمرداً يطلبه بشعلة من الـنار كـلما التفـت رآه فقال لَه جبريل ألا أعلمك كلمات تقولَهن إذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه أي وقع على وجهه، فقال رسول الله ﷺ : بـلى، أي أعـلمني، فقـال جـبريل (**أعـوذ بوجه الله الكريم وبكـلماته الـتامات لتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل مـن السـماء ومـن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الأرض ومن شـر مـا يخـرج مـنها ومـن فـتن الليل والـنهار ومن طوارق الليل والـنهار إلا طارقـا يطرق بخير الرحمن**) فانكب على فيه وطفئت شـعلته، والحكمـة في ذلـك أن تعـلم أمته هذه الكلمات فتقولَها عند وجـود مـا يخـيفها. ثـم سـار حـتى أتـى عـلى قـوم يزرعون في يوم ويحصـدون في يـوم كـلما حصدوا عاد كما كان، فقال: يا جبريل ما هـذا؟ فقـال هـؤلاء المجـاهدون في سـبيل الله تضـاعف لهم الحسنة

بسبعمائة ضعف ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾(سبا:٣٩). وقال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾(البقرة:٢٦١) .

والحكمة في هذا أن يشخص الله له المجاهدين من أمته الذين يقاتلون لإعلاء كلمته تعالى وما لهم من الأجر على ذلك وأنه أجر مضاعف غير ممنون ترغيبا لأمته في الجهاد وحضا لها عليه. ووجد في طريقه أيضا ريحا طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة؟ قال: هذه رائحة ما شطة بنت فرعون وأولادهما بينما هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط، فقالت: بسم الله تعس فرعون، فقالت بنت فرعون: أولك رب غير أبي، لأن فرعون كان يقول لقومه كما قصه القرآن علينا ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾(القصص:٣٨) فقالت نعم، فقالت: أفأخبر أبي بذلك، قالت نعم فأخبرته، فدعاها فقال: أولك رب غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله وكان للمرأة ابنان وزوج فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا، فقال: إني قاتلكما، قالت إحسانا منك إن قتلتنا أن تجعلنا في بيت واحد فتدفنا فيه جميعا، قال: ذاك لك بمالك علينا من الحق فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها وبأولادها نيلقوا فيها فألقوا واحدا بعد واحد وأخروا المرأة لتتعذب بالتحسر على زوجها وأولادها حتى إذا بلغوا إلى صغير رضيع فيهم، فقال لأمه: يا أمه قعي ولا تتقاعسي فإنك على الحق، فألقيت هي وزوجها وأولادها.

وقد مثل الله بهذا التشخيص لنبيه ﷺ صورة من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فإن الرخصة أنه يجوز له أن يجرى كلمة الكفر على لسانه وقلبه مطمئن بالإيمان وأن العزيمة أن يصبر حتى إذا قتل كان شهيدا وكان له لسان صدق الآخرين ويحيا حياة الشهداء عند رب العالمين.

وهكذا كل من صبر على الأمر بالمعروف الذي هو كالإيمان ونحوه والنهي عن المنكر الذي هو كالكفر ونحوه.

وقد ورد عنه ﷺ تكلم أربعة في المهد وهم صغار: (ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف ﷺ، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم)، وتعقب ذلك الطيبي بقوله: يرد دلالة الحصر في حديث الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: {لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم، وصاحب جريج، وصبي كان يرضع فمر راكب حسن الهيئة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الصبي الثدي، وقال: اللهم لا تجعلني مثله} اهـ.

ورده الجلال السيوطي فقال: هذا منه على جاري عادته من عدم الإطلاع على طرق الأحاديث، والحديث المتقدم صحيح. أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وصححه من حديث ابن عباس ورواه الحاكم أيضا من حديث أبي هريرة وقال: على شرط الشيخين، وفي حديث الصحيحين المشار إليه آنفا زيادة على الأربعة الصبي الذي كان

يرضع من أمه فمر راكب الخ فصاروا خمسة وهم أكثر من ذلك ففي صحيح مسلم تكلم الطفل في قصة أصحاب الأخدود. وقد جمعت من تكلم في المهد فبلغوا احد عشر ونظمتها فقلت:

تكلم في المهد النبي محمد	ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف	وطفل لذي الأخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالأمة التي	يقال لها تزني ولا تتكلم
وما شطة في عهد فرعون طفلها	وفي زمن الهادي المبارك يختم

ولكن الطيبي لم يقصد رد الحديث الذي جاء فيه الأربعة ولكنه أراد أن يبين حديث الصحيحين الدال على الحصر في الثلاثة وبين غيره مما دل على الزيادة تعارضا يحتاج إلى التوفيق. وفي الكشف بعد ذكر حديث الأربعة وما تعقب به عن الطيبي نقل الزمخشري في سورة البروج خامسا فإن ثبتت هذه أيضا، فالوجه أن يجعل في المهد قيدا وتأكيدا لكونه في المبادىء الصبا وفي هذه الرواية يحمل على الإطلاق أي سواء كان في المبادئ أو بعيدها بحيث تكون تكمله من الخوارق ولا يخفى أنه توفيق بعيدا كذا قيل. ولكن لا يضره ارتكابه لضرورة التوفيق لأنها أولى من رد الحديثين مع صحة كل منهما وكون كل منهما خبرا لا يحتمل النسخ ولا بد من التوفيق لدفع التناقض المحال في كلام الشارع من احتمال مثل هذا.

ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء أي لا ينقطع عنهم من ذلك شيء،

فقال: يا جبريل ما هذا ؟ فقال هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة أي يتركونها كسلا أو يؤخرونها عن وقتها.

وهذا أيضا تشخيص وتمثيل لما سيكون من أمته ﷺ من ترك الصلاة كسلا أو تأخيرها عن أوقاتها وبيان ما يترتب على ذلك من العذاب الشديد المستمر إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

ثم أتى على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها أي أن عوراتهم مكشوفة فلا يسترون إلا المغلظة منها القبل والدبر والضريع شجر شائك لا تطيق الدواب أكله لخبثه وقيل هو الشوك اليابس والزقوم نبت شديد المرارة يوجد بتهامة .

قال القليوبي: ورضف جهنم بفتح الراء وسكون المعجمة جمرها وهي حجارتها المحماة. فقوله وحجارتها عطف تفسير لأن جهنم وقودها الناس والحجارة. فقال يا جبريل من هؤلاء؟ فقال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا. والغرض من هذا أيضا تشخيص ما نعى الزكاة من أمته ﷺ وتمثيلهم له ﷺ بحالتهم التي يكونون عليها وإنهم إن تمتعوا في الدنيا بالملابس الفخمة الناضرة والأطعمة اللذيذة لكن يكون حالهم في الآخرة على ما وصفه الله في هذا التمثيل.

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدورهم ولحم آخر نيء خبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج

الطيب. فقال ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلالة الطيبة فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح. فهذا تشخيص آخر مثل فيه ترك الرجل امرأته الحلال وإتيان المرأة حرام، وترك المرأة زوجها الحلال وإتيان الرجل حرام، باللحم النضيج الطيب وتركه واللحم النيء الخبيث وأكله مع وضوح حصول الفائدة دنيا وأخرى فيما ترك وضوح حصول الضرر دنيا وأخرى فيما أكل. فمثل الزنا بأكل اللحم النيء والخبيث للإشارة إلى أن ذوي الطباع السليمة والنفوس المستقيمة ينفرون من هذا ويستقبحونه لما فيه من الضرر والخبث .

ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ولا شيء إلا خرقته فقال ما هذا يا جبريل؟ قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه. وتلا استدلالا على ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ ﴾ (الأعراف:٨٦) أي لا تقعدوا بكل طريق كان حسياً أو معنويا تخوفون الناس بتوعدهم بإيقاع الضرر بهم وتصرفون عن إتباع طريقه وشرعه ودينه من آمن به فيشمل قطع الطريق الحسي بإخافة الناس وأخذ أموالهم وقتلهم وقطع الطريق المعنوي بأنه يثبط همم الناس الذين يريدون الإيمان بالله ورسوله ويضلهم بطريق الإلحاد وإلقاء الشبه عليهم وإيقاع الشكوك في قلوبهم. فمثل قطاع الطريق هؤلاء بالخشبة المعترضة في الطريق لإشارة إلى أن الإنسان لا يصل إلى ذلك إلا من

بعد أن يخرج بطغيانه وضلاله عن الحيوانية فضلا عن الإنسانية ويصير كالجماد الموضوع في الطريق لإيذاء الناس فصار عقله تابعا لنفسه الأمارة بالسوء كأنه لا اختيار له فيما يصنعه من الشر كالخشبة المعترضة في الطريق التي يضعها لإيذاء الناس.

ورأى رجلا يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل آكل الربا فشبه أخذ أموال الناس بطريق الربا بالسباحة التي هي السير مع الانبساط وعدم وجود عائق كالسباحة في النهر فهو بظاهره سهل لكن النهر من دم فهو نجس ملوث للجسم ويلقم الحجارة التي لا تنهضم ولا تصلح للغذاء للإشارة إلى أن أخذ الربا وإن كان فيه ربح ومنفعة في الظاهر لكن ذلك شبيه بالسباحة في نهر من دم مع انه يلقم الحجارة فهو ضرر وخسارة في الباطن قال تعالى ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾(البقرة: ٢٧٦) وقال عز من قائل ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ﴾(الروم: ٣٩) .

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها. فمثل فى هذا التشخيص الرجل الذي يكون عنده حقوق الناس من ديون وودائع وغير ذلك ويكون عاجزا عن أدائها فيسوقه الطمع في أموال الناس إلى أن يأخذ غيرها أيضا لا يقصد بذلك إلا أكل أموال الناس بالباطل فهو يحمل أوزار الناس على ظهره مع

أوزاره فيأتي يوم القيامة وقد أفلس من حسناته كما أفلس في الدنيا من أمواله.

وأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم. فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة، خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون. مثل في هذا التشخيص خطباء الفتنة الذين يخطبون على الناس ولأجل أن يقضوا لباناتهم ويصلوا إلى أغراضهم يقولون مثلا للناس إذا أعنتمونا على كذا صنعنا معكم من الخير والمنافع ما هو كذا وكذا ودفعنا عنكم من المضار ما هو كذا وكذا ويغررون بالناس فيظهرون أنهم يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر وهم لا يريدون إلا الظهور لهم بمظهر الصلاح والتقوى ليقضوا لباناتهم الدنيوية الدنية ويصلوا إلى ملء جيوبهم من الذهب والفضة. وهم في زماننا هذا كثيرون والجميع ﴿ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾(الشعراء: ٢٢٦) ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(المنافقون: ٤) خصوصا الذين يغررون بالناس ليصلوا إلى المناصب العالية ومتى وصلوا إليها سعوا في الأرض بالفساد وأهلكوا الحرث والنسل وأوقعوا الضرر بالبلاد والعباد فمأواهم جهنم وبئس المهاد.

ومر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. فمثل بهذا التشخيص الذين يغتابون الناس ويخوضون في أعراضهم فيذكرونهم بم يكرهونه ولو

كانوا صادقين فيما ذكروا إن لم يكونوا متجاهرين بما يصنعون بقوم لهم أظفار من نحاس الخ، للإشارة على أن ضرر الغيبة إنما هو عائد على هؤلاء الذين يغتابون الناس فإنه يؤخذ من حسنات هؤلاء إن كان لهم حسنات فتعطى لمن اغتابوهم فإن لم يكن لهم حسنات اخذ من سيئات هؤلاء فوضع على هؤلاء الذين يغتابوهم قال تعالى ﴿ وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾(الحجرات:١٢) والغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره ولو كنت صادقا فتذكره بما فيه وهو يكره، وأما إذا كان متجاهرا بما هو فيه جاز ذكره بذلك والتشنيع عليه ليرتدع، أما إذا ذكرته بما ليس فيه فذلك بهت من القول قبيح مذموم. قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ﴾ (النساء:١١٢) .

ومر على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها. فهذا مثل وتشخيص للشخص الذي يتكلم بالكلمة العظيمة الأثر في الدين بأن يقول كلمة كفر أو فسق، أو في الدنيا بأن يقول كلمة سب أو عيب لشخص آخر، فيريد أن يتدارك الكلمة فلا يمكن.

وقد جاء في الحديث ما معناه: إن الرجل ليتكلم الكلمة لا يلقى لها بالا فيهوي في النار سبعين خريفا. وقد جاء في شعر الحكيم:

فما جرح السهام لَه التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

وقال الشاعر الحكيم أيضا :

يموت الفتى من عثرة في لسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته بالقول توجب قتلـه وعثرتـه بالرجـل تبرا على مهل

فالواجـب عـلى العـاقل أن لا يتكـلم إلا بمـيزان وبعد أن يعلم عواقب ما يقول فإذا تكلم تكلم بالحكمة وإلا سكت.

وبيـنما هـو يسير إذ هو بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كـل زيـنة خلقهـا الله تعـالى. فقالـت يـا محمـد انظـرني أسألك فلم يلتفت إليها. فقال: من هذه يا جبريل قال: تلك الدنيا، أما أنك لو أجبـتها لاخـتارت من أمتك الدنيا على الآخرة. ففي هذا التشخيص مـثل الدنـيا بأنهـا تظهـر للناس بمظهر التغرير، فمن أخذها بحقها وأنفقها بحقها كانت مطيته إلى النعيم المقيم، ومن أخذها بغير حقها وأستعملها فى غير حقها كانت مطيته إلى العذاب الأليم.

والـنبي ﷺ لم يلتفت إلـيها لا برأسـه ولا بعينه ولا بقلبه ولو التفت إلـيها لاخـتار كل أمته الدنيا على الآخرة ولكن لما لم يلتفت لم يخَـتر جميع أمته ذلك بل منهم من غرته الحياة الدنيا فاغتر بها واخـتارها فملكـته وسـكنت قلـبه فغلبته. ومنهم من لم يغتر بها فلم يملكهـا ولم تملكـه أو ملكهـا ولم تملكـه والويل كل الويل لمن ملكته ملكهـا أو لم يملكهـا إلى غير ذلك من الآيات التي رآها في طريقه إلى المسجد الأقصى مما هو مذكور في المطولات .

ومن الآيات التي رآها في عروجه على بعض الروايات كما ذكره العلائي في تفسيره أنه كان للنبي ﷺ ليلة الإسراء خمسة مراكب:

(الأول) البراق إلى بيت المقدس.

(الثاني) المعراج منه إلى السماء.

(الثالث) أجنحة الملائكة منها إلى السماء السابعة.

(الرابع) جناح جبريل عليه السلام منها إلى سدرة المنتهى.

(الخامس) الرفرف منها إلى قاب قوسين. وعلى رواية أنه لم يكن إلا البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم المعراج إلى ما شاء الله تعالى.

ومنها أن المعراج كان لَه عشر مراقي: سبعة إلى السموات، والثامن إلى السدرة، والتاسع إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام، والعاشر إلى العرش.

والبراق كما ذكره ابن أبي حامد في كتابه (الأمثال في أسماء الخيل وصفاتها) أنه ليس بذكر ولا أنثى ووجهه كوجه الإنسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال.

وقال ابن إسحاق أنه أبيض وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره عند منتهى بصره.

وقال الزبيدي وصاحب التحرير: هي دابة كان يركبها

الأنبياء. وعلى كل حال فهو من عالم الملكوت لا من دواب الدنيا.

ومما رآه أيضاً منها أنه اجتمع في كل سماء مع نبي من الأنبياء عليهم السلام كما سبق واطلع ﷺ على أحوال الجنة والنار ورأى من الملائكة ما لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى.

ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام رأى ليلة المعراج في مملكة الله تعالى خلقا كهيئة الرجال على خيل بلق شاكين السلاح طول الواحد منهم ألف عام والفرس كذلك يتبع بعضهم بعضا لا يرى أولهم ولا آخرهم. فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: ألم تسمع قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(المدثر: ٣١) . فأنا أهبط وأصعد أراهم هكذا يمرون لا أدري من أين يجيئون ولا إلى أين يذهبون.

ومنها أيضا أنه ﷺ قد صلى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس. قال في (الحقائق) وكانت صلاته ﷺ بهم ركعتين قرأ في الأولى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾(الكافرون: ١) ، وفي الثانية (الإخلاص). وقال بعضهم كانت دعاء وذكر أن الأنبياء كانوا سبعة صفوف: ثلاثة منهم مرسلون، وأن الملائكة صلت معهم وهذا من خصائصه ﷺ كما قاله القاضي زكريا في (شرح الروض).

والحكمة في ذلك أنه إمام الكل ﷺ . وهل صلى بأرواحهم خاصة أو بها مع الأجساد خلاف. والذي يظهر هو الأول لأن إعادة الأرواح للأجساد وحياة الأجساد بها إنما هي لميقات يوم معلوم.

وكذلك اختلف في أن صلاته بهم كانت قبل العروج أو بعده فصحح الحافظ ابن كثير أنه بعده وصحح القاضي عياض وغير أنه قبله وهذا هو الذي يظهر من الآثار الواردة في ذلك وجاء في رواية أنه ﷺ صلى في كل سماء ركعتين يؤم أملاكها.

ومن الآيات أيضا أن العروج كان في بعض ليلة واحدة وكان رجوعه ﷺ على ما كان ذهابه عليه ولم يعين مقدار ذلك البعض.

وكيفما كان فوقوع ما وقع فيه من أعجب الآيات وأغرب الكائنات.

وفي بعض الآثار أنه ﷺ لما رجع وجد فراشه لم يبرد من آثر النوم. وإنما أسرى به ﷺ إلى بيت المقدس وعرج به ثانيا منه ليكون وصوله إلى الأماكن الشريفة على التدريج فإن شرف بيت المقدس دون شرف الحضرة التي عرج إليها ما قيل. وقيل توطينا له ﷺ لما في المعراج من الغرابة العظيمة التي ليست في الإسراء وإن كان غريبا أيضا وقيل لتتشرف به أرض المحشر ذهابا وإياباً وفي النفس من هذا الأخير شيء ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾(إبراهيم:٤٨)

وليست آية الإسراء نصا في المعراج بل هي نص في الإسراء دونه إذ يجوز حمل قوله تعالى ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾(الإسراء: ١) على ما حصل له ﷺ ليلة الإسراء بل قال بعضهم ليس في آيات القرآن مطلقا ما هو نص في ذلك، ومن هنا قالوا: الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى قطعى ثبت بالكتاب فمن أنكره فهو كافر

والعياذ بالله. والمعراج ليس كذلك فمن أنكره ليس بكافر بل مبتدع وكان سبحانه إنما لم يصرح به كما صرح بالإسراء رحمة بالقاصرين على ما قيل.

والمراد بقولهم من أنكر الإسراء فهو كافر. إن من أنكر الإسراء بالكلية لا يقظة ولا مناماً ولا روحاً ولا جسداً كان كافراً لكون النص في مطلق الإسراء قطعياً ولم يخالف فيه أحدا من المسلمين.

أما من أنكر كونه يقظة بالجسم والروح فهو ليس بكافر لأن العلماء قد اختلفوا فيه على ثلاث مقالات، فذهبت طائفة إلى أنه كان في المنام على اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحي وحق .

وحكى عن الحسن والمشهور عنه خلافه واحتجوا لذلك بما روى عن عائشة رضي الله عنها (ما فقد جسد الرسول ﷺ) . وبقوله في بعض روايات حديث القصة بينما أنا نائم وبقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة وقال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف إلى أنه كان بجسده وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو مذهب ابن عباس فيما صححه الحاكم.

وعد في الشفاء عشرين نفسا قالوا بذلك من الصحابة و التابعين وأتباعهم وهو مذهب أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين.

وذهبت طائفة إلى أن الإسراء بالجسد يقظة إلى البيت المقدس

وإلى السماء بالروح والصحيح أنه أسري بالجسد والروح في القصة كلها ويدل عليه قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾(الإسراء:١) كما قدمناه إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة أصلا.

وقال ابن عباس: لاهي رؤيا عين رآها لا رؤيا منام.

وأما قول عائشة: (ما فقد جسد الرسول ﷺ) فلم تحدث عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجته ولا في سن من يضبط. فإذا كان ذلك فقد حدثت بذلك عن غيرها فلا يرجح خبرها على خبر غيرها، وقال الحافظ عبد الحق فى الجمع بين الصحيحين : وما روى شريك عن أنس أنه كان نائما فهو زيادة مجهولة.

وقد روى الحفاظ المتقنون والأئمة المشهورون كابن شهاب وثابت البناني وقتادة عن أنس ولم يأت أحد منهم وشريك ليس بالحفاظ من أهل الحديث.وقد تقدم تحقيق هذا فتذكره.وعلى كل فالمسألة خلافية اجتهادبة فلا يكفر من يقول بقول من هذه الأقوال الثلاثة. وهذا لا ينافي أن الحق ما عليه أكثر السلف وأكثر الخلف عملا بظواهر النصوص.

ولنذكر ما يستنبط من حديث الإسراء من الإحكام والفوائد فنقول:

منها أن البخاري روى هذا الحديث في كتاب (الصلاة) وقال

أولا كيف فرضت الصلاة ثم أورد الحديث فيه فعرج بي إلى السماء، وظاهر هذا أن الإسراء والمعراج واحد وظاهر إيراد البخاري لهذا الحديث في أحاديث الأنبياء وأنه ترجم الإسراء بترجمته وأخرج فيها حديثا ثم ترجم المعراج بترجمة أخرى وأخرج فيها حديثا ثم ترجم المعراج بترجمة أخرى وأخرج فيها حديثا يقتضي أن الإسراء غير المعراج فيؤخذ من هذا أنهما باعتبار كونهما ليلا في ليلة واحدة كانا شيئا واحدا وباعتبار أن الإسراء بصريح القرآن كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأن المعراج بمقتضى الأحاديث الصحيحة كان من بيت المقدس إلى ما شاء الله أنهما متغايران فلا تناقض.

ومنها أن قولَه فنزل جبريل، وقولَه فعرج بي إلى السماء يدلان على رسالة النبي ﷺ وعلى خصوصيته بأمور لم يعطها غيره.

ومنها أن جبريل ﷺ هو الذي كان ينزل على النبي ﷺ من عند الله وبأمره تعالى.

ومنها أن فيه دلالة على إثبات الاستئذان وبيان الأدب فيما إذا استأذن أحد بدق الباب ونحوه وأنه إذا قيل لَه من أنت يجيب بالاسم الذي هو مشهور به ومعروف عند السائل ولا يقول أنا مثلا مما يكون فيه الإبهام.

ومنها أن أذن الرسول يقوم مقام أذن مرسله لأن خازن كل سماء لم يتوقف في الفتح لَه على الوحي إليه بذلك بل عمل بلازم الإرسال إليه وأن الله الذي أرسل جبريل إذن بذلك.

ومنها أنه علم أن للسماء أبوابا حقيقية وحفظة موكلين بها.

ومنها علم أن الرسول ﷺ من نسل إبراهيم حيث قال لَه: والابن الصالح بخلاف غيره من الأنبياء المذكورين فيه فاتهم قالوا لَه الأخ الصالح ما عدا آدم وإبراهيم عليهما السلام.

ومنها جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الإعجاب وغيره من أسباب الفتن.

ومنها أن فيه شفقة الوالد على ولده وسروره بحسن حاله.

ومنها ما قالت الشافعية: أن فيه عدم وجوب صلاة الوتر حيث عين الخمس. قلنا نحن أيضا نقول بذلك وأن الوتر لم يجب ليلة الإسراء، وإنما كان وجوبه بعد ذلك بقولَه ﷺ (أن الله زادكم صلاة) الحديث. فلذلك انحطت درجته عن الفرض اعتقادا.

وقال أبو حنيفة: أنه فرض عملا لأن ثبوت الفرائض الخمس بدليل قطعي وهو بدليل ظني.

ومنها أن في ظاهره أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء ولكن في هذا كلام طويل وخلاف عظيم يطلب من المطولات. والحق أن الأرواح مثلت لَه كما مثل آدم.

ومنها أنه أفاد أن الجنة والنار مخلوقتان. قال ابن بطال وفيه دليل على أن الجنة في السماء.

ومنها أنه استدل به بعضهم على جواز تحلية المصحف ونحوه بالذهب وهذا استدلال بعيد لأن ذلك كان فعل الملائكة واستعمالهم وليس بلازم أن يكون حكمهم كحكمنا ويحتاج أيضا إلى ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا به ومع هذا كان هذا على أصل الإباحة، وتحريم استعمال الذهب والفضة كان بالمدينة.

ومنها أن قوما استدلوا بنقص الصلوات من خمسين إلى خمس على جواز نسخ العبادة قبل العمل بها، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين :

أحدهما: البناء على أصله ومذهبه أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها لأن ذلك عنده مكن البداء والبداء على الله تعالى محال.

الثاني: أن العبادة إذا جاز نسخها قبل العمل بها عند من يراه فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها على الأرض ووصولها على المخاطبين.

قال وإنما ادعى النسخ فيها القاشاني ليصحح بذلك مذهبه في أن البيان لا يتأخر .

قال أبو جعفر: وهذا إنما هي شفاعة شفعها رسول الله ﷺ لأمته ومراجعه راجعها به ليخفف عن أمته ولا يسمى نسخاً.

وقال السهيلي: قول أبي جعفر لك بداء ليس بصحيح لأن

حقيقة البداء أن يبدو للآمر رأي يتبين لَه الصواب فيه بعد أن لم يكن تبينه وهذا محال في حقه تعالى.والذي يظهر أنه نسخ ما وجب على النبي ﷺ من أدائها ورفع عنه اسمرار العزم واعتقاد الوجوب، وهذا نسخ على الحقيقة والنسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ فقد كان في كل مرة عازما على تبليغ ما أمر به،ومراجعته وشفاعته لا تنفي النسخ،فإن النسخ يكون عن سبب معلوم فشفاعته ﷺ لأمته كان سببا للنسخ لا مبطلة لحقيقته ولكن المنسوخ ما ذكرناه من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات في خاصته.

وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل وصوله إلى المأمور وتبليغه الخطاب وفهمه وهذا أحد وجهين في الحديث.

والوجه الثاني: أن يكون هذا خبرا ولا تعبدا فإذا كان خبرا لا يدخله النسخ. ومعنى الخبر أنه ﷺ أخبره ربه أن على أمته خمسين صلاة ومعناه أنها في اللوح المحفوظ خمسون، فتأولها النبي ﷺ على أنها خمسون بالفعل فبينها لَه ربه عند مراجعته أنها في الثواب لا في العمل. ولا يخفى ما في هذا الوجه من مخالفته ظاهر الحديث، فإن مراجعته وتنزيلها خمساً خمسا على رواية أو عشراً عشرا ثم خمسا على رواية ينافي هذا.

ومنها فرضية الصلوات الخمس، قال ابن بطال: أجمعوا على أن فرضية الصلاة كانت ليلة الإسراء.

قال ابن اسحق: ثم إن جبريل ﷺ أتى فهمز بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين ماء مزن فتوضأ جبريل عليه السلام ومحمد عليه السلام ينتظر فرجع رسول الله ﷺ فأخذ بيد خديجة رضي الله عنها ثم أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل عليه السلام، ثم صلى هو وخديجة ركعتين كما صلى جبريل عليه السلام .

وقال نافع بن جبير: أصبح النبي ﷺ ليلة الإسراء فنزل جبريل حين زالت الشمس فصلى به وقال جماعة لم تكن صلاة مفروضة قبلها إلا ما كان أمر به من قيام الليل من غير تحديد ركعات وأوقات حضور وكان يقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه، وعلى هذا فما صلاه جبريل مع النبي ﷺ أولا وصلاة النبي ﷺ مع خديجة ثانيا كان حين زالت الشمس فلا خلاف بين ما قال ابن اسحق وبين ما قال نافع بن جبير سوى أن الأول فصل القصة دون الثاني ولا خلاف بينهما وبين ما قاله جماعة من أنه لم تكن صلاة مفروضة قبلها. وهذا الحمل متعين جمعا بين الروايات[1].

ومنها أن أعمال بني آدم الصالحة تسر آدم وأعماله السيئة تسوءه.

---

(١) ولكن مقتضي الجمع ما قاله ابن اسحق وبين ما قاله بن جبير بأن ما صلاه جبريل مع النبى ﷺ أولاً، وبين ما صلاه النبى ﷺ مع خديجة ثانياً، كان حيث زالت الشمس .. الخ، ينافى ما قدمناه من أن خديجة لم تصل الخمس وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، فإن هذا يدل على إنها ماتت قبل المعراج فلا يمكن أن تكون الصلاة التى صلاها جبريل مع النبى أولاً وصلاها النبى مع خديجة ثانياً حين زالت الشمس من ليلة الإسراء، فتعين أن ما قاله ابن اسحق ضعيف أو محمول على صلاة أخرى كانت قبل الإسراء وقبل وفاة خديجة .

ومنها أنه يجب أن يرحب بكل أحد من الناس في حين لقائه بإكرام النازل وأن يلاقيه بأحسن صفاته وأعمها بجميل الثناء عليه.

ومنها أن أرواح المؤمنين يصعد بها إلى السماء.

ومنها أن أوامر الله تكتب بأقلام شتى وأن العلم ينبغي أن يكتب بأقلام كثيرة تلك سنة الله في سماواته فكيف في أرضه؟ فرآها ﷺ في السماوات ليجعلها في الأرض وقد فعل ﷺ .

ومنها أن ما قضاه الله وأحكمه من آثار معلومة وآجال محدودة وشبه ذلك مما لا يبدل لديه سبحانه. وأما ما نسخه رفقا بعباده فهو الذي قال فيه ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾(الرعد: ٣٩) والأول هو الذي قال فيه ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(الرعد: ٣٩) وهي المحكمات التي لا تقبل النسخ بحال كما قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(آل عمران: ٧) وقد أورد هنا أسئلة وأجابوا عنها.

فمنها ما قيل: ما وجه اعتناء موسى عليه السلام بهذه الأمة من بين سائر الأنبياء عليهم السلام الذين رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء؟

وأجيب عن ذلك بأنه قد ورد أن موسى عليه السلام قال: يا رب اجعلني من أمة محمد، لما رأى من كرامتهم على ربهم فلذلك اعتنى بأمرهم وأشفق عليهم كما يعتني بالقوم من هو منهم.

وقال الداودي: إنما كان ذلك من موسى لأنه أول من سبق

إليه حين فرضت الصلاة فجعل الله في قلب موسى ﷺ ذلك ليتم ما سبق من علم الله تعالى. وهذا إنما يصح إذا كان مقابلة النبي ﷺ لموسى في السماء السابعة وإلا فأول من يستقبله إبراهيم إذا قلنا أنه قابله في السابعة وقد قدمنا الخلاف في ذلك والتوفيق بين الروايتين فتذكره.

ومنها ما قيل: ما معنى نقص الصلاة عشرا بعد عشر؟ .

وأجيب بأنه ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى أخرها، وقد جاء أنه يكتب له ما حضر قلبه فيه منها وأنه يصلي فيكتب له نصفها أو ربعها حتى ينتهي إلى عشرها فهي خمس في حق من يكتب له عشرها وعشر في حق من يكتب له أكثر من ذلك وخمسون في حق من كملت صلاته بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها .

ومنها ما قيل: لماذا جعلت خمسين في الأجر وخمسا في الفعل ولم تجعل ستين في الأجر مثلا وخمسا في الفعل؟

وأجيب عن ذلك بأن المواقف يوم القيامة خمسون موقفا مدة كل موقف ألف سنة، فمجموع مدة المواقف خمسون ألف سنة وهو المشار إليه بقوله تعالى ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾(السجدة:٥) ولبيان مدة كل موقف جاءت إشارة في الآية الأخرى التي ذكر فيها أن مقدار اليوم ألف سنة فجعلت الصلوات على خصوص ذلك العدد للإشارة على أن الصلوات الخمس تساعده بإذن الله تعالى إذا أقامها

على وجه ما أمره الله تعالى في تلك المواقف ويسهل الله عليه أمره فيها بسبب الصلاة إذا حافظ عليها وعلى أدائها في أوقاتها على تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها.

ومنها ما قيل: كيف رأى النبي ﷺ من رآه من الأنبياء في السماء مع أن مقرهم في الأرض؟ .

والجواب: أن الله تعالى شكل أرواحهم على هيئة أجسامهم كما ذكره ابن عقيل. وكذا ذكره ابن التين وقال: وإنما تعود الأرواح إلى الأجساد يوم البعث كما قدمناه، إلا عيسى ﷺ فإنه حي لم يمت وينزل إلى الأرض.

وقال بعضهم: أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وقد رآهم النبي ﷺ حقيقة وقد مر على موسى عليه السلام وهو قائم يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة.

ولا يخفى أن هذا لا ينافي ما قاله ابن التين من أن الأرواح إنما تعود إلى الأجساد يوم البعث، لأن عود الأرواح إلى الأجساد يوم البعث هو الذي يقتضي أن تعود الأجساد إلى الحياة المشاهدة التي يترتب عليها الحركات والسكنات وجميع الأفعال الاختيارية بأقوى مما كانت عليه في الحياة الدنيا. وأما حياة الأنبياء في قبورهم فهي حياة ملكوتية بها يقدرون على حركات وسكنات وأفعال ملكوتية لا يشاهدها ولا يراها إلا من يشاهد عالم الملكوت، مثل نبينا ﷺ .فما ذكره ابن التين شيء وما قاله هذا البعض شيء آخر. وبالجملة فما

قاله ذلك البعض حياة برزخية وهي للأنبياء فوق حياة الشهداء، وللشهداء فوق حياة الأولياء غير الشهداء، وللأولياء غير الشهداء فوق حياة من عداهم من الناس أجمعين من أهل البرزخ.

ومنها ما قيل: ما الحكمة في انه ﷺ عين من أنبياء آدم وإدريس وإبراهيم وموسى وعيسى فيما رواه البخاري في كتاب الصلاة وذكر أيضا يحيى ويوسف وهارون وهم ثمانية؟ .

والجواب: في أن الحكمة في الاقتصار على المذكورين إشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم.

فأما آدم عليه السلام فإنه خرج من الجنة بعداوة إبليس له وتحيله عليه، فكذلك نبينا ﷺ خرج من مكة بأذى قومه له ولمن أسلم معه، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما أن يرجع إلى وطنه الذي خرج منه فآدم رجع إلى السماء بعد إن هبط منها، والمصطفى رجع إلى مكة لما فتحها وصارت في يده.

وأما لقياه لعيسى ويحيى فللتنبيه على ما وقع له أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغي عليه وإرادتهم وصول السوء إليه فرأى في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود.

أما عيسى فكذبته اليهود وآذوه وهموا بقتله فرفعه الله .

وأما يحيى فقتلوه.

ورسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود وظاهروا عليه وهموا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجي عيسى. ثم سموه في الشاه فلم تزل تلك الأكلة تعاوده حتى قطعت أبهره.

وأما لقاؤه ليوسف في الثالثة فيؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك انه ظفر بأخوته بعد إخراجه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال: ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾(يوسف:٩٢)، وكذا نبينا ﷺ أمر يوم بدر جماعة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من فدى، ثم ظهر عليهم عام الفتح، فقال: أقول كما قال أخي يوسف ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ .

ثم لقاؤه لأدريس في الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكانا عليا، وهو أول من خط بالقلم،وكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهو علو شأن ﷺ حتى أخاف الملوك،وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي ﷺ ورأى ما رأى من خوف هرقل: لقد أمر ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه ملك بني الأصفر وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هاده وأهدى إليه وأتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فأظفر الله به،كذا في (الروض) للسهبلي. ولا تفهم من قولَه بحالة رابعة أن كتابته ﷺ إلى الملوك كانت في السنة الرابعة كما ظن ذلك ابن المنير ، فإنه سهو عجيب فإن كتابته ﷺ للملوك كانت فى أول السنة السابعة .

ولقاؤه في الخامسة لهرون المحبب في قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه، وقال أبن دحيه: نال هرون من بني إسرائيل من الأذى ثم الانتصار عليهم والإيقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المنحطة عنه وذلك أن هرون عند ما تركه موسى في بني إسرائيل وذهب للمناجاة تفرقوا عليه هارون وتحزبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا العهد واخلفوا الموعد واستصغروا جانبه كما حكي الله تعالى ذلك عنهم وكانت الجناية العظمى الصادرة منهم عبادة العجل فلم يقبل الله منهم التوبة إلا بالقتل فقتل في ساعة واحدة سبعون ألفا كان نظير ذلك في حقه ﷺ ما لقيه في خامسة الهجرة من يهود قريظة والنضير وقينقاع فأنهم نقضوا العهد وحزبوا الأحزاب وحشدوا وحشروا وأظهروا عداوة النبي ﷺ وأرادوا قتله، وذهب إليهم قبل الوقعة بزمن يسير يستعينهم في دية قتيلين فأظهروا إكرامه وأجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا أن يلقوا عليه رحى، فنزل جبريل فأخبره بمكرهم الذي هموا به فمن حينئذ عزم على حربهم وقتلهم، وفعل الله تعالى ذلك وقتل قريظة بتحكيمهم سعد بن معاذ فقتلوا شر قتلة وحاق المكر السيء بأهله، ونظيرا استضعاف اليهود لهارون استضعافهم للمسلمين في غزوة الخندق.

ويؤذن لقاؤه لموسى في السادسة بمعالجه قومه فإن موسى ابتلى بمعالجة بني إسرائيل والصبر على أذاهم وما عالجه المصطفى في السنة السادسة لم يعالج قبله ولا بعده مثله ففيها افتتح خيبر

وفدك بجميع حصون اليهود وكتب الله عليهم الجلاء وضربهم بسوط البلاء، وعالج ﷺ في هذه السنة كما عالج موسى من قوله أراد أن يقيم الشريعة في الأرض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾(المائدة:٢٢) وفي الآخر جاهروا بالقنوط وقالوا ﴿ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا ﴾(المائدة:٢٤) فغضب الله عليهم وحال بينهم وبيننا وأوقعهم بالتيه وكذلك أراد ﷺ في السادسة أن يدخل بمن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة إبراهيم فصدوه فلم يدخلها في هذا العام فكان لقاؤه لموسى تنبيها على التأسي به وجميل أثر السنة القابلة .

ثم لقاؤه في السابعة لإبراهيم أنه ﷺ اعتمر عمرة القضاء في السنة السابعة من الهجرة ودخل مكة هو وأصحابه ملبين معتمرين محييا لسنة إبراهيم ومقيما لرسمه الذي كانت الجاهلية أماتت ذكره وبدلت أمره ورؤيته لإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور إشارة إلى أنه يطوف بالكعبة في السابعة وهي أول مرة دخل مكة بعد الهجرة والكعبة في الأرض قبالة البيت المعمور .

وفي قوله فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يرجعون إليه إلى آخر الدهر إشارة إلى أنه إذا دخل البيت الحرام لا يرجع إليه لأنه لم يدخله بعد الهجرة إلا عام الفتح ثم لم يدخله في حجة الوداع.كذا يؤخذ من (المواهب اللدنية وشرحها) .

وأعلم أن ما أبديناه من هذه المناسات قد أشار إليه الحافظ بن

حجـر وأصـله للسـهيلي في (الـروض) ولتلميذه ابن دحية وقال: هي مناسـبات لطـيفة، وقـد أقتصرنا عليها وأعرضنا عن غيرها خوفا من التطويل وفيما أوردناه الكفاية .

ومـنها: مـا هـى الحكمـة في أنـه رفـع إليه ﷺ البيت المعمور وسـدرة المنـتهى قلنا انه منتهى الرفع كما تقدم أنه كشف لَه البيت المعمـور لَـه و ظهـر لَه كل الظهور وكذلك سدرة المنتهى التي رأى في أصـلها أربعـة أنهـار أثـنان باطنان وأثنان ظاهران والبيت المعمور في السـماء حيال الكعبة في الأرض وذلك يدل على أنه ﷺ بعد فتح مكة تديـن لَـه جزيـرة العـرب ويدخـل الناس في دين الله أفواجا وتنتشر شـريعته المشـتملة عـلى الظاهـر والباطن فليست ظاهرة فقط كشريعة موسى ولا باطنة كشريعة عيسى، بل هي شريعة علم وعمل تشتمل عـلى سياسة الدين دنيا وآخره ونظام الخلق في المعاش والمعاد وبذلك يتم الغرض المقصود

ومـنها: مـا الحكمـة في أن التكالـيف من أوامر ونواهي أنزلها الله تعـالى بواسـطة جـبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ في الأرض إلا الصـلاة المكـتوبة فـإن الله عز شأنه فرضها على النبي وأمته فوق السـموات وبـدون واسطة جبريل ففي بعض روايات البخاري ثم علا بـه فـوق ذلـك بمـا لا يعـلمه إلا الله حـتى جـاء سدرة المنتهى ودنا الجـبار رب العـزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه فيما أوحي خمسين صلاة (الحديث) .

والجواب: بأن الصلاة لما كانت ركن الدين الأعظم وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين وعمود الإسلام خصت بهذه المزية قال الأمام أحمد في كتاب الصلاة جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال (الصلاة عمود الإسلام) ألست تعلم أن الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط لم ينتفع بالإطناب ولا بالأوتاد، وإذا قام عمود الفسطاط انتفعت بالاطناب والأوتاد فكذلك الصلاة من الإسلام، إلى أن قال ﷺ: وأعلموا أن الله ﷻ قد عظم حظ الصلاة في القرآن وعظم أمرها وشرف أهلها وخصها بالذكر من بين الطاعات في مواضع من القرآن كثيرة ووصى بها خاصة أهـ .

قال ابن القيم في كتاب الصلاة وأحكامها ما نصه: والصلاة ركن الدين الأعظم . قال الأمام أحمد وقد جاء في الحديث { لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة } .

وقد كان عمر بن الخطاب يكتب إلى الآفاق أن من أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة. قال فكل مستخف بالصلاة مستهين به وإنما حظهم في الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة فاعرف نفسك يا عبد الله وأحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك.

فقد حاء في الحديث (أن أول ما يسئل عنه يوم القيامة من

عمله صلاته فإن تقبلت منه صلاته تقبل منه سائر عمله وأن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله) فصلاتنا آخر ديننا وهي أول ما نسئل عنه غدا من أعمالنا يوم القيامة فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين إذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام.هذا كله كلام الأمام أحمد أنتهى .

ومنها: ما قيل أن قولَه في الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب الصلاة جاء فيه قولَه لم يثبت كيف منازلهم وهذا يخالفه كلمة ثم التي للترتيب.

والجواب: أنه أما أن يقال أن أنساً لم يرو هذا عن أبي ذر، وأما أن يقال لا يلزم منه تعيين منازلهم لبقاء الأبهام فيه لأن بين آدم وإبراهيم ستة من الأنبياء وأربعة من السموات أو خمسة إذ جاء في بعض الروايات أنه رأى إبراهيم في السماء السابعة وقد تقدم هذا الاعتراض والجواب عنه بأن معنى قولَه لم يثبت كيف منازلهم أنه لم يثبت من طريق أبي ذر فلا ينافي أنه من طريق آخر.

ومنها ما قيل أن قولَه تعالى ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾(ق:٢٩) لم لا يجوز أن يكون معناه لا ينقص عن الخمس ولا يبدل عن الخمس إلى أقلَ من ذلك والجواب أن معناه لا تبدل الأخبار مثل أن ثواب الخمس خمسون لا التكليفات أو لا يبدل القضاء المبرم لا القضاء المعلق الذي يمحو الله ما يشاء منه ويثبت، أو معناه لا يبدل القول بعد ذلك .

ومنها: ما قيل أن الإسراء كان ليلا بالنص فما الحكمة في أنه كان ليلا .

والجواب من أوجه:

(الأول): أنه وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك وهو أشرف من مجالستهم نهارا لأنهم لا يجالسهم ليلا إلا الخواص وهو وقت مناجاة الأحبة .

(الثاني): أن الله تعالى كرم جماعة من أنبيائه بأنواع الكرامات ليلا فقال تعالى في قصة إبراهيم ﷺ ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا** ﴾(الأنعام:٧٦) . وفي قصة لوط ﷺ ﴿ **فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ** ﴾(هود:٨١) . وفي قصة يعقوب ﷺ ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي** ﴾ (يوسف:٩٨) . وكان آخر دعائه إلى وقت السحر من ليلة الجمعة، وقرب الله موسى ﷺ نجيا ليلا وذلك كما قال تعالى ﴿ **قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً** ﴾(القصص:٢٩) . وقال ﴿ **وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً** ﴾(الأعراف:١٤٢) . وقال له لما أمره بخروجه من مصر بني إسرائيل ﴿ **فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ** ﴾(الدخان:٢٣) .

وأكرم نبينا ﷺ ليلا أيضا بأمور: منها أنشقاق القمر وإيمان الجن به ورأى الصحابة آثار نيرانهم كما ثبت في صحيح مسلم وخرج إلى الغار ليلا عند الهجرة إلى المدينة .

(الثالث): أن الله قدم ذكر الليل على النهار في غير ما آية فقال ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ** ﴾(الإسراء:١٢) . وقال ﴿ **وَلا اللَّيْلُ**

سَابِقُ النَّهَارِ ﴾(يس:٤٠) . والوقوف ليلة النحر يغني عن الوقوف نهارا دون العكس.

(الرابع): أن الليل أصل ولذلك كان أول الشهور العربية من الليل وسواد الليل يجمع ضوء البصر ويحد كليل النظر ويستلذ فيه بالسمر ويجتلي فيه ضوء القمر.

(الخامس): أنه لا ليل إلا ومعه نهار وقد يكون نهار بلا ليل وهو يوم القيامة الذي مقداره خمسون ألف سنة .

(السادس): أن الليل محل استجابة الدعاء والغفران والعطاء فإن قلت ورد في الحديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم عرفة ويوم الجمعة ، قلت قالوا ذلك بالنسبة إلى الأيام فإن ليلة القدر خير من ألف شهر وقد دخل في هذه الليلة أربعة الآلاف يوم جمعة بالحساب الجملى فتأمل هذا الفضل الخفي .

(السابع): أن أكثر شعاره ﷺ كان ليلا وقال (عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوي الليل) .

(والثامن): لينفي عنه ما ادعته النصارى في عيسى ﷺ من البنوة لما رفع نهارا تعالى الله عن ذلك .

(التاسع): أن الليل وقت الاجتهاد في العبادة وكان ﷺ قام حتى تورمت قدماه وكان قيام الليل في حقه واجبا وقال الله تعالى في حقه ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾(المزمل:١-٢) . فلما

كانت عبادته ليلا أكرم بالإسراء فيه وأمره الله بقوله ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾(الإسراء: ٧٩) .

(العاشر): ليكون أجر المصدق به أكثر ليدخل فيمن آمن بالغيب دون من عاينه النهار

ومنها: ما قيل أنه ذكر في الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب الصلاة أن صدره غسل بماء زمزم وفي غيره غسل قلبه بالثلج ؟

والجواب: أن الغسل كان مرتين مرة بالثلج ومرة بماء زمزم . والمراد من الصدر القلب فغسل بالثلج أولا ليثلج اليقين في قلبه وهذا لدخول الحضرة القدسية . وقيل غسل قلبه بالثلج كان في صغره ليصير قلبه مثل قلوب إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الانشراح وغسل ثانيا بماء زمزم ليصير حاله كحال الملائكة.

ومنها ما قيل: ما هي الحكمة في الإسراء والمعراج؟

والجواب: أنه إنما كان للمناجاة ولهذا كان من غير مواعدة وهذا أوقع وأعظم، وكان التكليم مع موسى عن مواعدة وموافاة فأين ذاك من هذا،وشتان ما بين المقامين وبين من كلم على الطور وبين من دعي إلى أعلى البيت المعمور وبين من سخرت له الريح مسيرة شهر وبين من ارتقى من الفرش إلى العرش في ساعة زمانية .وأيضا الحكمة فيما ذكر أن يشاهد عالم السماوات العلى وما فوق ذلك كما شاهد الأرض حين طيف به فتمم سياحته في العالمين العلوي والسفلي والله أعلم .

ومنها ما قيل: أنه ﷺ عرج به على دابة يقال لها البراق كما جاء في بعض الروايات فما الحكمة في ذلك مع أن الله قادر على رفعه في طرفة عين بلا براق؟ .

والجواب: أن ذلك كان للتأنيث كالمعتاد في سفر العباد، والقلب إلى ذلك أميل، وعرج به لكرامة الراكب على غيره ولذلك لم ينزل عنه على ما جاء في حديث حذيفة بل مازال على ظهر البراق حتى رجع. وإنما لم يذكر في الرجوع العلم به من قرينة الصعود. وسمى براقا لسرعته تشبيها ببرق السحاب .

ومها ما قيل: لم كان البراق على شكل البغل دون اليخل مع أن الخيل أفضل وأحسن؟ .

والجواب: كان الركوب في السلم والأمن لا في الخوف والحرب ولإسراعه عادة وتحقيق ثباته وصبره وقوته ولذلك كان ﷺ يركبه في الحرب كما في قصة حنين لتحقيق ثباته في مواطن الحرب، وأما ركوب الملائكة الخيل فلأنه المعهود في الحروب، وما لطف من البغل وأستدار واعتاد الكر والفر أحسن من الخيل في الوجوه التي ذكرناها.

ومنها ما قيل: كيف يتصور الصعود إلى السموات وما فوقها والجسم الأنساني كثيف؟ .

والجواب: أن الأرواح أربعة أقسام:

(الأول): الأرواح الكدرة بالصفات البشرية وهي أرواح العوام غلبت عليها القوى الحيوانية فلا تقبل العروج أصلا مع أجسادها .

(والثاني): الأرواح التي لها كمال القوة النظرية للبدن باكتساب العلوم وهذه أرواح العلماء .

(والثالث): الأرواح التي لها القوة المدبرة للبدن باكتساب الأخلاق الحميدة وهذه أرواح المرتاضين إذ كسروا قوى أبدانهم بالارتياض والمجاهدة.

(والرابع): الأرواح التي حصل لها كمال القوتين فهذه غاية الأرواح البشرية وهي أرواح الأنبياء والصديقين فكلما ازدادت قوة أرواحهم أزداد ارتفاع أبدانهم من الأرض وغلبت ملكيتهم على بشريتهم وصارت أبدانهم تابعة لأرواحهم ولهذا لما قويت أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على وجه ما ذكر عرج بهم إلى السماء ولم تكن أبدانهم مانعة من ذلك،وأكملهم قوة في ذلك نبينا ﷺ فعرج به إلى قاب قوسين أو أدني .

* * * * * *

وهذا آخر ما يسر الله كتابته في قصة المعراج أخذا من صحيح البخاري وشراحه وغيرها من الكتب الصحيحة . جعله الله مقبولا لديه نافعا للمسلمين خصوصا طلبة العلم المحصلين على يد كاتبه (محمد بخيت المطيعي الحنفي) غفر الله له ولسائر المسلمين آمين .

تم بحمد الله تعالى كتاب (الكلمات الطيبات)